كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

مَقَايِيسُ نَقدِ التَّشبِيهِ المَعِيبِ
في
التُّرَاثِ البَلاَغِيِّ والنَّقْدِيِّ

إعداد

د/ صلاح أحمد رمضان حسين

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الرابع والثلاثون – الجزء الرابع ٢٠١٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأُصَلِّي وأُسلِّم على أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقا، وأسدِّهم لفظاً، وأقومهم حجة، وأهداهم إلى الصراط المستقيم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن التشبيه لونٌ من البيان، وضربٌ من التصوير، لا تتأتى الإجادة فيه إلا إذا استقام له دقة اللفظ، وصحة المعنى، ومراعاة الصنعة، وسمو الخيال، ورهافة الحس.

وقد أدرك العلماء ذلك، يقول ابن وهب: " وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان المُشبِّه [بالكسر] منهم في تشبيهه ألطف؛ كان بالشعر أعرف، وكلما كان بالمعنى أسبق؛ كان بالحذق أليق "(١).

ويؤكد ابن الأثير ذلك المعنى، فيقول: " إن التشبيه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب، وهو مقتل من مقاتل البلاغة، وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة إما صورةً وإما معنى يعز صوابه، وتعسر الإجادة فيه، وقلَّما أكثر منه أحد إلا عثر" (٢).

ثم إن التشبيه – من بين ألوان البلاغة – ممعن في الترف، كثير الأناقة، شديد الحساسية، رقيق المزاج، دقيق الصنعة؛ ومن أجل ذلك يظهر فيه العيب

(١) البرهان في وجوه البيان،لابن وهب الكاتب ص ١٠٧،١٠٨ تحقيق: د.حفني شرف.

(٢) المثل السائر لابن الأثير ٩٨/٢ تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة.

والخلل؛ فيوصف بالقبح والفساد. (١)

وقد عاب البلاغيون والنقاد كثيراً من التشبيهات التي أفسدت جمال الصورة وأخرجتها من دائرة الإصابة في التشبيه إلى دائرة القبح والعيب؛ وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة، وعنوانها:(مَقَايِيسُ نَقْدِ التَّشبِيهِ المَعِيبِ في التُّرَاثِ البَلاَغِيِّ والنَّقْدِيِّ) في محاولة لجمع هذه التشبيهات من مظانها؛ بغية الوقوف على مقاييس نقد التشبيه المعيب عندهم وجمعها في دراسة مستقلة؛ لتكون بمثابة نواة لسلسلة دراسات تالية – إن شاء الله تعالى– في البحث عن مقاييس نقد الأساليب البلاغية المعيبة في التراث البلاغي والنقدي.

ولا شك أن الوقوف على مواطن العيب والخلل في الأساليب البلاغية يُجَنِّبُ الأديب الوقوع في أمثالها، كما أنه يضيف إلى الدرس البلاغي ما يحقق المقابلة بين مقاييس الاستحسان في الأساليب وبين مقاييس الاستقباح؛ فتتمكن القاعدة في أذهان الدارسين مدعمة بالشاهد والدليل، ويقف على أصول الاستحسان وضدها في الأساليبب البلاغية.

وقد ارتسم هذا البحث منهجا تحليليلا يقوم على استقراء وجمع التشبيهات المعيبة في كتب البلاغيين والنقاد، ثم تصنيفها– حسب العيب– إلى مقاييس عامة وخاصة يندرج تحتها الشاهد مدعما بالنقد والتحليل؛ بغية الوقوف على مقاييس نقد التشبيه المعيب عندهم.

وليس من هدف الدراسة أن تتتبع كلام العلماء في هذه القضية من الناحية التاريخية؛ لئلا يترهل البحث ويطول بما لا فائدة منه، وإنما الهدفُ الكشف عن مقاييس العيب في التشبيه.

(١) ينظر: فن التشبيه، د. علي الجندي ٣ /١٢٦ ط/ مكتبة نهضة مصر.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن تقسم خطته إلى أربعة مباحث، مسبوقة بمقدمة، ومتلوة بخاتمة، وفهارس.

فأما المقدمة: ففيها حديث عن أهمية البحث، ومنهجه، وخطته.

والمبحث الأول: مقاييس نقد التشبيه المعيب في الألفاظ.

ويشمل العيوب الأتية:

١. غرابة اللفظ ووحشيته.

٢. سوء النظم (التعقيد اللفظي).

٣. استخدام الألفاظ العامية أو الأعجمية.

٤. مخالفة قواعد اللغة.

٥. الحشو.

٦. وضع اللفظ في غير موضعه.

٧. عدم الدقة في استخدام الألفاظ المناسبة للمعاني.

والمبحث الثاني: مقاييس نقد التشبيه المعيب في المعاني.

ويشمل العيوب الأتية:

١. مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع.

٢. التناقض بين المعاني.

٣. قلب المعنى.

٤. فساد المعنى.

والمبحث الثالث: مقاييس نقد التشبيه المعيب في الصنعة والأصول.

ويشمل العيوب الأتية:

١. انعدام الشبه والمناسبة بين الطرفين أو بُعده.

٢. عدم تحقق وجه الشبه أو خفاؤه وبُعده.

٣. الخلل في التركيب والترتيب.

٤. التناقض في التشبيه.

٥. الابتذال والإسفاف.

٦. الغلو الممقوت في التشبيه.

٧. مخالفة سنن العرب في صنعة التشبيه.

٨. التقليد والاحتذاء في صنعة التشبيه.

والمبحث الرابع: مقياس نقد التشبيه المعيب في الجانب النفسي.

والخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسنات صاحبه، وموازيين حسنات القراء أجمعين، وأن يكون حجة لنا جميعا لا حجة علينا.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
مقاييس نقد التشبيه المعيب فى الألفاظ

١- غرابة اللفظ ووحشيته.

٢- سوء النظم (التعقيد اللفظي).

٣- استخدام الألفاظ العامية أو الأعجمية.

٤- مخالفة قواعد اللغة.

٥- الحشو.

٦- وضع اللفظ فى غير موضعه.

٧- عدم الدقة فى استخدام الألفاظ المناسبة للمعانى.

المبحث الأول

مقاييس نقد التشبيه المعيب فى الألفاظ

التشبيه لونٌ من البيان، وضربٌ من التصوير، لا تتأتى الإجادة أو الإبداع فيه إلا إذا استقام له دقة اللفظ وصحة المعنى، وسُمُو الخيال ورهافة الحس. فالتشبيه بين ألوان البلاغة ممعن فى الترف، كثير الأناقة، شديد الحساسية، رقيق المزاج، وأي تهاون فيه يعيبه، ويخرجه من الحسن إلى القبح(١).

والألفاظ التى تتكون منها أجزاء الصورة التشبيهية لابد أن تخلو من الأخطاء والعيوب التى تخدش جمال الصورة وبهاءها، وإلا عُدَّ التشبيه معيباً وفاسداً ورديئاً.

وقد تنبه علماء البلاغة والنقد إلى هذا المقياس، وأدركوا بحسهم وذوقهم كثيراً من المعايير والمقاييس التى تَسِمُ التشبيه بالعيب والقبح فى ألفاظه وصياغته، كأن يكون اللفظ مخالفاً لقواعد اللغة، أو يكون غريباً، أو عامياً سوقياً، أو غير ذلك من العيوب اللفظية التى سنوضحها فى هذا المبحث، ومن أهمها:

١ـ غرابة اللفظ ووحشيته :

ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَسِـــنٌّ كَسُـــنَّيْقٍ سَـــنَاءً وَسُـــنَّماً ذَعَـرْتُ بمِـدْلاجِ الهَجيـرِ نَهُـوضِ(٢)

ذكر أبو هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي، أن الأصمعي وأبا عمرو لم يعرفا معنى البيت؛ لغرابة ألفاظه ووحشيتها، وأنه بيت مسجدي من عمل أهل

(١) ينظر: فن التشبيه، د/ على الجندى ١٢٦/٣.

(٢) راجع البيت في: المعاني الكبير لابن قتيبة الدينورى ٧٧٣/٢، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص٣٣٥، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص٧٠، وديوان امرئ القيس ص ١٢٣، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي.

المسجد[١].

وإذا كان الأصمعى وعمرو بن أبو العلاء، – وهما من هما فى رواية الشعر والأدب – لم يعرفا معنى البيت وألفاظه لوحشيتها وغرابتها؛ فلا مرية فى أنه تشبيه معيب يحول بين فهم السامع لمراد الشاعر، ويجد نفسه مضطراً للبحث والتنقيب عن معنى الكلمات الغريبة.

وقد حاول جماعة شرح معنى البيت، فذكروا أن السن: الثور. والسنيق: جبل. وسناء: مرتفع. وسنما: البقرة. ومدلاج الهجير: الفرس.

والمعنى: أنه أفزع بفرسه ثوراً مرتفعاً كالجبل وبقرة عظيمة[٢].

ومهما يكن من أمر فإن الشاعر أغرب فى ألفاظه؛ مما أوقعه فى العيب والخطأ.

ومنه قول المتنبي:

وفَاوُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ بِأَنْ تُسْعِدا والدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجُمُهْ [٣]

فالشاعر أغرب فى معنى البيت، وأفسد النظم، حتى قال عنه ابن رشيق: "إن هذا يحتاج الأصمعي إلى أن يفسر معناه"[٤].

وقال عنه العميدي: "والله لو أوقد الإنسان ألف شمعة ليستضئ بنورها إلى

---

(١) راجع: كتاب الصناعتين ص٣٣٥، وسر الفصاحة ص٧٠.

(٢) راجع: سر الفصاحة ص٧٠، والمعاني الكبير ٧٧٣/٢، خزانة الأدب ولب لسان العرب للبغدادي ٥٦٧/٩.

(٣) راجع البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ٩٨/١، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ٢٣٩/١، وسر الفصاحة ص١١٣، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ص١٨٨.

(٤) العمدة ٢٣٩/١.

استنباط غوامض هذا البيت مع قلة الفائدة فيه لصعب عليه"[١].

وقد اختلف العلماء والأدباء فى معنى البيت، وقدروا فيه تقديرات كثيرة، منها ما ذكره العكبري: أنه يخاطب صاحبيه اللذين عاهداه على أن يسعداه بالبقاء عند ربع الأحبة، فقال لها: وفاؤكما لي بمساعدتي على البكاء كهذا الربع، ثم بيَّن وجه الشبه فقال: إن الربع كلما درس وتقادم كان أحزن لزائره، (أشجاه طاسمه)، والدمع كلما سال وكثر أشفى الغليل كما أن الربع أشجى للمحب إذا درس (والدمع أشفاه ساجمه) [٢].

والعيب والخطأ فى هذا البيت من جهتين: إحداهما: (الغرابة) فى لفظة طاسم، بمعنى الطامس أى: الدارس. والثانية: (الترتيب المتعسف والتعقيد اللفظي) فى البيت، حيث قدَّم، وأخَّر، وفصل، حتى أحدث الخلل، والتقدير:

وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه والدمع أشفاه ساجمه

حيث فصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه، فضلاً عن التأذي بسماع هذا البيت، حيث تكلف له من اللفظ المتعقد، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفى شرفه وغرابته بالتعب فى استخراجه[٣].

٢ـ سوء النظم (التعقيد اللفظي):

لاحظ العلماء أن سوء الترتيب بين الألفاظ بالتقديم، أو التأخير، أو الحذف، أو الفصل، بين الأمور المتلازمة وغيرها يؤدي إلى التعقيد وصعوبة فهم المعنى المراد، كما أنه يؤدي إلى الإلغاز والغموض، وإفساد الصورة واضطراب أجزائها ؛

(١) الإبانة عن سرقات المتنبى لفظاً ومعنى، للعميدى صـ٩٦.

(٢) شرح ديوان المتنبى للعكبري ٣/٣٢٦.

(٣) راجع: الوساطة صـ٩٨.

ولذلك عابوه ورفضوه، وقد سماه أبوهلال العسكري (سوء النظم)[١]، وسماه قدامة، وابن الأثير، وغيرهما (المعاظلة)[٢] ، وسماه ابن طباطبا العلوي (الأبيات المستكرهة الألفاظ) [٣].

ولعل أول من تنبه إلى هذا المقياس وأشار إليه، هو عمر بن الخطاب – رضى الله عنه–، فقد ذكر أبوهلال العسكري أن عمر بن الخطاب كان يمدح زهيراً لأنه لم يكن يعاظل بين الكلام[٤].

ومن الأمثلة التى ساقوها على هذا العيب، قول الشاعر يصف ديارا درست وعفت آثارها:

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطٍّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْراً رُسُومَهَا قَلَماً[٥]

والمعنى: فأصبحت بعد بهجتها قفراً كان قلماً خط رسومها. حيث فصل بين الفعل الناقص وخبره، وبين كأن واسمها، وبين المضاف والمضاف إليه، وقدم خبر كأن عليها وعلى اسمها؛ مما جعل الصورة مختلة مضطربة، وهذا من أقبح صور المعاظلة والتعقيد اللفظي عند العلماء، حتى إنهم عدوا هذا البيت مصنوعاً لبيان قبح التعقيد اللفظي فى الكلام[٦].

---

(١) راجع: كتاب الصناعتين صـ١٦٢.

(٢) راجع: نقد الشعر لقدامة بن جعفر صـ٦٦، والمثل السائر لابن الأثير ٣٠٥/١.

(٣) راجع: عيار الشعر صـ٦٧ وما بعدها.

(٤) راجع: كتاب الصناعتين صـ١٦٢.

(٥) راجع البيت في: المثل السائر ١٨٠/٢، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لابن الأثير ص١١٢، ونضرة الإغريض في نصرة القريض لأبي علي العلوي ص٤٢، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٣٩/١، وصبح الأعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي ٢٠٩/٢، وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٣٩٨/١.

(٦) راجع: المثل السائر ١٨٠/٢، وخزانة الأدب للحموي ٣٩٨/١ والبلاغة العربية للميدانى

ومن شواهد هذا العيب قول أبى حية النميري[١]: يصف الديار التى درست آثارها.

كمـــا خُـــطَّ الكتـــابُ بكـــف يومـــاً يهـــــودِيّ يقـــــاربُ أو يُزِيـــــلُ [٢]

والمعنى: كما خُطَّ الكتاب يوماً بكف يهودي يقارب أو يزيل، أي: يقارب الكتابة ويبينها أو يباعدها. لكن الشاعر أفسد الصورة بهذا النظم السيء، حيث فصل بين المضاف والمضاف إليه (بكف يهودي) بالظرف (يوماً)؛ مما ترتب عليه تعقيد وخلل فى فهم المراد[٣].

ومن شواهد هذا العيب قول الشماخ يصف مشية محبوبته:

تخامصُ عَن بَرْدِ الوشَاحِ إِذَا مَشَتْ تَخَامُصَ حَافي الخَيْل فِي الأَمْعَز الوجِي[٤]

يريد: تتخامص إذا مشت عن برد الوشاح، تخامص حافى الخيل الوجى فى

١٢٥/١، وفن التشبيه د/ على الجندى ١٣٩/٣.

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، كان يروي عن الفرزدق، وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، شاعر راجز محسن على لوثة كانت فيه (راجع: البيان والتبيين للجاحظ ١٥٨/٢، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٦٢/٢، والموشح للمرزباني صـ٢٩٠).

(٢) راجع البيت في: عيار الشعر صـ٧١، والموشح صـ٢٩٠، والوساطة ص٤٦٤، والصناعتين صـ١٦٥، وصبح الأعشى ٢٨٨/٢، وخزانة الأدب ٤١٩/٤.

(٣) راجع: عيار الشعر صـ٧١، كتاب الصناعتين صـ١٦٥، الموشح صـ٢٩٠.

(٤) راجع البيت في: الشعر والشعراء ٣٠٥/١، وعيار الشعر ص٧٠، والموشح ص ٨٣، وصبح الأعشى ٢٨٨/٢، وديوان الشماخ صـ٧٥. تخامص: تتخامص، أى: تتجافى عن المشى. الأمعز: الأرض الغليظة ذات الحجارة. الوجى: الحافى: يريد أن هذه المرأة يؤذيها الودع الذى فى وشاحها ببرده، فتتجافى عنه فى مشيها مثل تجافى الخيل الحافية فى الأرض الغليظة ذات الحجارة.

الأمعز. فقدم، وأخر، وفصل، بين الصفة والموصوف [١]

ومنه قول ذى الرمة يصف صوت رحال الإبل:

كـأنّ أَصْـوَاتَ مـن إيغَـالِهِنَّ بِنَـا أَوَاخِـر المَـيْسِ إنْقَـاضُ الفـرارِيج [٢]

والتقدير: كأن أصوات أواخر الميس إنقاض الفراريج من إيغالهن بنا.

ففصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: (من إيغالهن بنا) وهذا مما لا يجوز الفصل فيه؛ لأنهما كالشيء الواحد[٣].

ومعنى البيت: أن رحالهم جديدة وقد طال سيرهم، فبعض الرحل يحك بعضاً مثل أصوات الفراريج من اضطراب الرحال لشدة السير[٤].

والشاعر وإن كان قد أجاد فى تشبيه صوت احتكاك الرحل بصوت صغار الدجاج حيث جمع بين طرفين متباعدين، إلا أنه قد أخطأ بهذا التعقيد اللفظي الذى أضاع بهاء الصورة ودقتها.

ومـن سـوء الـنظم والتعقيـد اللفظـي قـول المتنبـي يمـدح شـجاع بـن محمد الطائي:

أنَّـــى يكـــونُ أبـــا البرايـــا آدمٌ وأبـــوكَ والـــثَّقَلاَنِ أنـــتَ محمـــدُ [٥]

---

(١) راجع: عيار الشعر صـ٧٠، الموشح صـ٨٨، وكتاب الصناعتين صـ١٦٤.

(٢) راجع البيت في: الحيوان للجاحظ ٤٣٢/٢، وعيار الشعر ص٧٠، والموشح ص ٢٤٠، والوساطة ص٤٦٤، والصناعتين ص١٦٤، والعمدة ٦٠/٢، واسرار البلاغة ص٩١،وديوان ذي الرمة صـ ١٠٥، أواخر الميس: عمود من شجر فى آخر الرحل يستند إليه الراكب. إنقاض الفراريج: صوت صغار الدجاج.

(٣) راجع: عيار الشعر صـ٧٠، المرشح صـ٢٤٠، الصناعتين صـ١٦٤، والعمدة ٦٠/٢ وأسرار البلاغة صـ٩١.

(٤) خزانة الأدب البغدادى ٤١٣/٤.

(٥) راجع البيت في: الوساطة ص٩٠، والمنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع ص٣٥٨،

وتركيب البيت الصحيح: أنى يكون آدم أبا البرايا، وأبوك محمد، وأنت الثقلان. وقد فصل بين المبتدأ الذى هو: (أبوك) وبين الخبر الذى هو: (محمد) بالجملة التى هى قوله: (والثقلان أنت)، وهذا تعسف شديد ومذهب عن الفصاحة بعيد(١).

قال ابن سيده: " يريد أن يقول: إذا كنت أنت الثقلين، وأبوك محمد، فأبو البرية إذا أبوك لا آدم ! وهذا محال من القول وسفه، فلم يحسن تأليف البيت ولم يوفق لإقامة إعرابه، ففصل، وقدم، وأخر"(٢).

وقوله: (والثقلان أنت) تشبيه، حيث شبه الممدوح في كماله وفضله وغنائه بالثقلين: الإنس والجن،أى: أنت توازيهما فضلا وتقوم مقامهما (٣).

وتشبيه الممدوح بهذا المعنى مأخوذ من قول أبي نواس:

ولـــيس علـــى الله بمســـتنكرٍ أنْ يجمـــع العـــالمَ فـــي واحـــد

وهذا كله مأخوذ من قول الله تعالي: (إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ كَانَ أُمَّةً) (٤).. ولايخفى أن

والإيضاح في علوم البلاغة ٣٣/١، وأنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم ص٤٨٧، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ص ٤٤. الثقلان: الإنس والجن.

(١) راجع: التذكرة الحمدوينة ٣١٣/٧، وفن التشبيه ١٧٤/٣، أبوالطيب المتنبى وما له وما عليه لأبى منصور الثعالبي صـ٧٧.

(٢) شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده صـ١٢.

(٣) راجع: الفتح على أبي الفتح لابن فُورَّجَة البُرُوجُردي ص ١١٣، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ص ٤١.

(٤) سورة النحل /١٢٠، قال الزمخشري: " كان أمَّةً، فيه وجهان، أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير، كقول الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

والثاني: أن يكون أمة بمعنى مأموم، أي: يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى مؤتم به

جملة التشبيه لم تسلم كذلك من التقديم والتأخير.

٣ـ استخدام الألفاظ العامية أو الأعجمية:

عدَّ كثير من البلاغيين والنقاد استخدام الألفاظ العامية أو الأعجمية من عيوب التشبيه؛ ذلك أن الغرض من التشبيه هو الإيضاح وإخراج الخفي إلى الظاهر، وهذا الغرض يتعارض مع استخدام الألفاظ العامية أو الأعجمية لما يترتب عليهما من الغموض والثقل.

وقد ذكر العسكري فى البيان عن قبح التشبيه، قول لبيد بن ربيعة:

فخمـــةً ذفـــراءَ تُرْتَـــى بـــالعُرَا قُرْدَمَانِيـــاً وتَرْكـــاً كالبَصَـــلْ [١]

فالشاعر يصف الدروع الغليظة التى تلبسها الكتيبة، ويشبه بيضة الحديد التى تلبس فى الرأس بالبصل.

وقد استخدم الشاعر كلمتين فارسيتين هما (قردمانيا) و (تركاً)، وهذا مما يعاب به التشبيه ويقبح؛ لما يترتب عليه من الغموض فضلاً عن الثقل.

وهناك وجه آخر للعيب فى هذا التشبيه، وهو بُعد المشابهة بين الطرفين. قال العسكري: " فشبه البيضة [الخوذة التى تلبس فى الرأس] بالبصل، وهو بعيد، وإن كانا يتشابهان من جهة الاستدارة"[٢].

واستخدام الألفاظ العامية السوقية مما يُعاب به التشبيه ويقبح عند

" (راجع: الكشاف، للزمخشري ٢/٦٤١)

(١) راجع البيت في: الصناعتين صـ٢٥٧، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٩٧، وعيار الشعر ص١٥٠، والموشح ص ١١١، وديوان لبيد بن ربيعة ص٩٥.. ترتى: تشد. قردمانيا: هى الدروع الغليظة وأصله بالفارسية كُرْدُمَاند: ومعناه عمل وبقى، والترك: بيضة الحديد التى تلبس فى الرأس.

(٢) الصناعتين صـ١٠٧، وانظر: عيار الشعر صـ١٥٠، والموشح صـ١١١.

البلاغيين والنقاد، ومن شواهده قول المتنبى يصف الكتيبة:

ومَلمُومَـــــةٍ سيَفيَّـــــةٍ رَبعيَّـــــةٍ يَصيح الحصا فيها صِياح اللقَالِقِ[1]

شبه صوت الحصى الذى يحدثه وقع حوافر الخيل فى الكتيبة بصوت اللقالق. والتشبيه معيب وقبيح؛ لأن لفظة اللقالق مبتذلة بين العامة جداً [2].

ومنها قوله:

ومـــنَ النـــاس مـــنْ تجـــوزُ عليـــه شعـــــراء كأنَّهـــــا الخَازِبَـــــار[3]

وقد عد ابن الأثير هذا البيت من مضحكات الأشعار، وأنه من جملة (البرسام) الذى ذكره فى شعره حيث يقول:

إنّ بعضـــاً مـــن القـــريض هَـــراءٌ لـــــيس شـــــيئاً وبعضـــــهُ أحكـــــامُ

منـــهُ مـــا يجلـــبُ البراعـــة والفهـــ م ومنـــــه مـــــا يجلـــــبُ البِرســـــامُ [4]

٤ـ مخالفة قواعد اللغة :

لا يخفى أن مخالفة قواعد اللغة ونظم الكلام على خلاف المشهور من قوانين النحو والصرف يخل بفصاحة الكلام، ويعيب الصورة التشبيهية وينفر الأذواق السليمة فيها؛ لأنه بمثابة النشاز والخرق الذى يعيب الصورة التشبيهية أو

(١) راجع البيت في: المثل السائر ١٩٩/١، ومعجز أحمد (شرح ديوان المتنبي) لأبي العلاء المعري ص ٣٣١، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ص ٢٨٢.. ملمومة: الكتيبة المجموعة. سيفية ربعية: منسوبة إلى سيف الدولة وإلى قبيلة ربيعة. اللقالق: نوع من الطيور.

(٢) راجع: المثل السائر صـ١٩٩.

(٣) راجع: معجز أحمد ص ١٧٥، الخازبار: حكاية صوت الذباب، والمعنى أن بعض الناس لغفلتهم يجوز عليه شعراء يهذون كأنهم طنين الذباب

(٤) المثل السائر صـ١٩٩، والبرسام: علة يُهذى فيها.

الأسلوب عامة.

ومن شواهد هذا العيب قول أبى نواس يصف حباب الخمر:

كـأن صُـغرى وكُبـرى مـن فواقِعهـا حصْباءُ دُرٍّ علـى أرضٍ مـن الـذهب [١]

وقد خطأ النحاة أبا نواس فى هذا البيت[٢]. وفى ذلك يقول ابن الأثير: " وهذا لا يخفى على مثل أبي نواس، فإنه من ظواهر علم العربية، وليس من غوامضه فى شيء، لأنه أمر نقلي يحمل ناقله منه على النقل من غير تصرف. وقول أبي نواس: صغرى وكبرى غير جائز؛ فإن فُعْلَى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام فيها، وإنما يجوز حذفهما من فُعْلَى التى لا أفعل لها نحو حُبْلَى إلا أن تكون فُعْلَى أفعل مضافة، وههنا قد عريت من الإضافة ومن الألف واللام فانظر كيف وقع أبو نواس فى مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته"[٣].

٥ـ الحشو :

ومن شواهد هذا العيب قول أبي عدي القرشي يفتخر بقومه(٤):

نحنُ الرؤوسُ وما الرؤوس إذا سَمَت فـــى المَجـــد للأقـــوام كالأذنَـــاب[٥]

---

(١) راجع البيت في: الوساطة ص ٥٧، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٣٠٨/١، والمثل السائر ٤٧/١، وصبح الأعشى ٢١٨/١، وأنوار الربيع ص٢٧٤، وديوان أبي نواس صـ٣٩.. ومحل الخطأ قوله:(صغرى– كبرى) حيث جاء بأفعل التفصيل مؤنثاً مع كونه مجرداً من أل ومن الإضافة وكان حقه أن يأتى به مفرداً مذكراً، فيقول أصغر وأكبر.

(٢) راجع: الوساطة صـ٥٧، ديوان المعانى ٣٠٨/١، المثل السائر ٤٧/١.

(٣) المثل السائر ٤٧/١.

(٤) هو عبدالله بن عمرو الأموي، ويكنى بأبي عدي القرشى (راجع: الإيضاح في علوم البلاغة تحقيق/ خفاجى ١٧٨/٣).

(٥) راجع البيت في: نقد الشعر صـ٨٦، الموشح صـ٢٩٨، سر الفصاحة صـ٢١٩، والإيضاح ١٧٨/٣.

شبه قومه- فى علوهم وتحكمهم فى غيرهم- بالرؤوس، ثم نفى أن يكون أشراف الناس وأعلاهم مثل الأذناب فى المجد والعلو والرفعة.

وقد عيب على الشاعر قوله: (للأقوام) فإنه حشو لا منفعة فيه[١]. بدليل أن حذف هذه اللفظة لا يترتب عليه خلل فى معنى البيت.

ومن شواهد الحشو الذى يفسد المعنى، قول الشاعر:

فَما نُطْفَةٌ من ماءِ نهْضٍ عَذيبةٌ تمنّعُ من أيدي الرُقاةِ يرومُها

بأطيبَ من فيها لو انَّكَ ذُقْتَهُ إذا ليلةٌ أسْجَتْ وغارَتْ نجومُها [٢]

فقوله: (لو أنك ذقته) زيادة أفسد بها المعنى؛ لأنه أوهم أنك إذا لم تذقه لم يكن طيباً، ولو قال بأطيب من فيها وإنى لصادق، لكان أوكد فى الإخبار وأصح فى الانتقاد[٣].

٦- وضع اللفظ فى غير موضعه :

من المقرر عند علماء اللغة أن كل لفظ وضع ليدل على معنى بعينه، ومخالفة هذا الأصل يُعدُّ عيباً وخروجاً على المتعارف عليه. وقد عاب العلماء على الشعراء الذين خالفوا هذا الأصل. قال أبوهلال العسكرى: " ومن عيوب اللفظ استعماله فى غير موضعه المستعمل فيه وحمله على غير وجهه المعروف به " [٤].

---

(١) راجع: نقد الشعر صـ٨٦، الموشح صـ٢٩٨، سر الفصاحة صـ٢١٩، والإيضاح ١٧٨/٣.

(٢) أورده قدامه فى نقد الشعر صـ٨٦، والموشح صـ٢٩٧، ونضرة الإغريض فى نصرة القريض صـ٨٣.

(٣) راجع: نقد الشعر صـ٨٦، الموشح صـ٢٩٧، نضرة الإغريض صـ٨٣.

(٤) كتاب الصناعتين صـ١١٠.

ومن شواهده قول جرير يصف بقر الوحش:

يَمْشِـي بهـا كـلُّ مَوْشِـيٍّ أكارِعُـهُ مَشْـي الهَرَابِـذِ حَجُّـوا بِيعَـةَ الـزُّونِ[1]

قال العسكري:" فالغلط فى هذ البيت فى ثلاثة مواضع: أحدهما: أن (الهرابذ) المجوس لا النصارى، والثانى: أن البيعة للنصارى لا للمجوس، والثالث: أن النصارى لا يعبدون الأصنام ولا المجوس"[2].

ومن شواهد هذا العيب قول امرئ القيس:

إذا مـا الثُّرَيّـا فـي السَّـماءِ تَعَرَّضَـتْ تَعَـرُّضَ أَثنـاءِ الوِشـاحِ المُفصَّـلِ [3]

قالوا: غلط فذكر الثريا، وهو يريد الجوزاء؛ لأن الثريا لا تتعرض فى السماء[4]

---

(١) راجع البيت في: الصناعتين ص٩٦، ومجمع الأمثال للميداني ٢٢٧/١، وأوهام شعراء العرب في المعاني لأحمد تيمور ص١٤، وديوان جرير ص ٥٨٧، الأكارع: قوائم الدابة. الهرابذة: سدنة بيت النار للهند. البيعة: معبد النصارى. الزون: الصنم.

(٢) الصناعتين صـ٩٦، وأوهام شعراء العرب صـ١٤، وفن التشبيه ٢٣٦/٣.

(٣) راجع البيت في:جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص١٢٤، والشعر والشعراء ١١٢/١، والموشح ص٣٤، والعمدة ٢٩٤/١، وأوهام شعراء العرب في المعاني ص١٩،وديوان امرئ القيس ص ٣٦.. التعرض: إبداء العرض وهو الناحية. الأثناء: النواحى. الوشاح المفصل: الذى فصل بين خرزه بالذهب أو غيره.. يقول: تجاوزت إليها فى وقت إبداء الثريا عرضها فى السماء كإبداء الوشاح الذى فصل بين جواهره وخرزه بالذهب أو غيره عرضه (شرح المعلقات السبع للزوزني صـ٤٨).

(٤) راجع: الشعر والشعراء ١١٢/١، والموشح ص٣٤، والوساطة ص ١٣، وأوهام شعراء العرب في المعاني ص١٩.

ومنه قول زهير بن أبي سلمى يصف الحرب:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ [1]

يقول: إن نقضتم العهد وأثرتم الحرب، فستولد لكم أبناء فى أثناء تلك الحروب كل واحد منها يضاهي فى الشؤم عاقر الناقة، ثم ترضعهم الحروب وتفطمهم، أي تكون ولادتهم ونشوؤهم فى الحروب فيصبحون مشآئيم على أبائهم[2].

وقد أخطأ زهير فى قوله (كأحمر عادٍ) حيث وضع اللفظ فى غير موضعه والصواب (كأحمر ثمود)؛ لأن الذى عقر الناقة ويُضرب به المثل فى الشؤم إنما هو (أحمر ثمود) ويسمى (قدار بن سالف)[3].

ومن هذا الباب قول الحطيئة يصف جيشاً:

صُفوفٌ ومَا ذِيٌّ الحَدِيدِ عَلَيْهِمُ وبَيْضٌ كَأَوْلادِ النَّعَام كَثِيفُ [4]

شبه البيض- وهى ما يلبس من آلات الحرب لوقاية الرأس- بأولاد

---

(١) راجع البيت في: جمهرة أشعار العرب ص١٦٧، الشعر والشعراء ١١٢/١، والمعاني الكبير ٨٧٩/٢، الموشح صـ٣٤، الوساطة صـ١٣، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص١٤٤، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص١٤١، وخزانة الأدب للبغدادي ٤٨/١١، وأوهام الشعراء فى المعاني صـ٢٥. ديوان زهير ص ٨٢.. أشأم: بمعنى شؤم. أحمر عادٍ: يريد به شؤماً على قومه، وقد وصفه الله تعالى فقال: (إذا انبعث أشقاها.) (الشمس/١٢) ، وصار قدار مثلاً فى الشؤم، فقيل: أشأم من قدار (راجع: جمهرة الأمثال للعسكرى ١٥٦/٢).

(٢) راجع: شرح المعلقات السبع للزوزني صـ١٤٤.

(٣) راجع: الشعر والشعراء ١١٢/١، الموشح صـ٤٧، الوساطة صـ١٣، وأوهام شعراء العرب صـ٢٥.

(٤) راجع البيت في: عيار الشعر صـ١٦٥، الموشح صـ١١٦، والصناعتين صـ١١١.

النعام.

وقد أخطأ فى ذلك، وإنما يقصد بيض النعام، وقد عَدَّ ابن طباطبا، والمرزبانى وغيرهما ذلك من الأبيات التى قصَّر أصحابها فيها عن الغايات، لوضعه اللفظ فى غير موضعه(١).

فالشاعر وضع كلمة (أولاد) مكان (بيض)، وهذا خطأ؛ لأنه لا يطلق على البيضة أنها ولد النعامة(٢).

٧ـ عدم الدقة فى استخدام الألفاظ الملائمة للمعانى:

البليغ هو الذى يختار من الكلمات والألفاظ أدقها فى أداء المعنى المراد، وأنسبها بالمقام، وأدلها على إحساس الشاعر بالمعاني. ومخالفة هذا الأصل يعد عيباً يعاب به الكلام، لاسيما إذا جاء فى معرض التشبيه.

ومن شواهد هذا العيب قول كثير عزة:

ألا إنمـــا ليلـــى عصـــا خيزرانـــةٍ إذا غمزوهـــا بـــالأكفِّ تلـــين(٣)

والعيب هنا جاء من استخدام الشاعر لكلمة (عصا)؛ حيث إنها لا تتلاءم مع المعنى المراد ومع المقام؛ ذلك أن هذه اللفظة (عصا) توحى باليبس والغلظ، فى حين أن مقصود الشاعر هو وصف قوام المحبوبة باللين واللدونة والرقة، وهذا لا تنهض به كلمة (عصا) فضلاً عن عدم مناسبتها لمقام الغزل(٤).

وقد ذكر العلماء أن بشار بن برد لما سمع هذا البيت، قال: قاتل الله أبا

---

(١) راجع: عيار الشعر صـ١٦٥، الموشح صـ١١٦.

(٢) راجع: أسس النقد الأدبى عند العرب، د/ أحمد بدوى صـ٤٥٤.

(٣) راجع البيت في: الكامل فى اللغة والأدب ٨٥/٣، العقد الفريد ٢١٢/٦، الموشح صـ٢٠٥ والصناعتين صـ٢١٣، والبديع فى نقد الشعر صـ١٥٧، والخيزران: كل غصن لين يتثنى.

(٤) راجع: فن التشبيه ١٤٣/٣.

صخر، جعلها عصا، ثم يعتذر لها، والله لو جعلها عصا مخ أو زبد لكان قد هجنها وأساء إليها، ألا قال كما قلت:

وحـــوراءِ المـــدامعِ مـــن معـــدٍّ كـــأنَّ حـــديثها ثمـــرُ الجنـــانِ

إذا قامـــتْ لحاجتهـــا تثنَّـــتْ كـــأنَّ عظامَهـــا مـــن خيـــزُران[1]

ومن شواهد هذا العيب، قول أبى تمام:

أنـت دَلْـو وذو السّـماح أبـو مـو سـى قليـب وأنـت دلـو القليـب

أيهـا الـدَّلو لا عـدمناك دَلْـواً مـن جيـاد الـدِّلاء صُـلب الصـليب[2]

ومراد الشاعر: أنه جعل الممدوح سبباً لعطاء المشار إليه، كما أن الدلو سبب فى امتياح الماء من القليب[3].

لكنه أخطأ فى استخدام لفظة (دلو) لعدم ملاءمتها للمعنى المقصود والمقام، ولأنه قد شاع استعمالها فى معنى كريه وهو الدلو المعروف؛ ولذلك لم يحسن أن نشبه الرجل العظيم بالدلو لاسيما فى مقام المدح، ومن هنا عاب ابن سنان أبا تمام فى قوله يمدح محمد بن الهيثم:

متفجـــرٌ نادمتـــه فكـــأنّنى للـــدَّلو أو للمِـــرزمين نَـــديم

قال: " فالدلو هنا أحد البروج، ولا أختاره؛ لموافقته الدلو المعروف، وأنت تجد بأقرب تأمل فرق ما بين قول القائل لمن يمدحه: أنت المرزم جوداً، والجنة لمن تقصده الأيام عزاً، وبين قوله: أنت الدلو كرماً، والكنيف لطريد الدهر سعة،

(١) راجع: الموشح صـ٢٠٥، والصناعتين صـ٢١٣، والبديع فى نقد الشعر صـ١٥٧.

(٢) راجع البيت في: كتاب الصناعتين صـ٣٥٦، المثل السائر ١٨٥/٣، الجامع الكبير صـ٢٢٧، والقليب: البئر.

(٣) راجع: كتاب الصناعتين صـ٣٥٦، المثل السائر ١٨٥/٣، الجامع الكبير صـ٢٢٧.

والمعنيان صحيحان، وحسن أحدهما وقبح الآخر ظاهر لا خفاء به ولولا ما ذكرته ونبهت عليه[1] لم يكن لذلك وجه ولا علة "[2].

(١) يقصد ما ذكره من شرط فصاحة الكلمة، وهو أن لا يكون قد شاع استعمالها فى معنى كريه.

(٢) سر الفصاحة صـ٨٦، وراجع: التصوير البيانى، د. أبوموسى صـ١٨١.

المبحث الثاني
مقاييس نقد التشبيه المعيب فى المعاني

١- مخالفة العرف والإتيان بما ليس فى العادة والطبع.

٢- التناقض بين المعاني.

٣- قلب المعنى.

٤- فساد المعنى.

المبحث الثانى

مقاييس نقد التشبيه المعيب فى المعاني

المعاني التى يرومها الأدباء فى تشبيهاتهم ينبغي أن تكون صحيحة خالية من الأخطاء، وإلا عُدَّ التشبيه معيباً.

والمتصفح لكلام العلماء يجد أنهم عقدوا فصولاً كاملة لعيوب المعاني[1] تدل على دقتهم وبراعتهم فى تذوق الأدب ونقده، وتدل- وهو المهم- على وقوفهم ومعرفتهم لمقاييس الخطأ فى المعاني، كأن يكون مخالفاً للعرف أو العادة، أو الطبع، أو يكون فاسداً، أو متناقضاً، إلى غير ذلك مما سنوضحه- إن شاء الله- فى الصفحات القادمة، ومنها:-

١ـ مخالفة العرف والإتيان بما ليس فى العادة والطبع :

وهذا العيب سببه جهل الشعراء بالحقائق التى تحدثوا عنها أو صفوها، ومن شواهده قول أبى نواس فى وصف الأسد:

كأنمـــــا عينـــــه إذا نَظَـــــرَتْ بـــارزَةَ الجَفـــنِ عـــينُ مَخْنُـــوقِ[2]

حيث وصف الأسد بجحوظ العين وهذا خطأ، وإنما يوصف بغؤورها، كما قال أبو زبيد الطائي:

كـأنَّ عينيـه فـي وقبـين مـن حجـرٍ قِيْضـا اقتياضـاً بـأطرافِ المنَـاقِير

(١) راجع مثلاً: نقد الشعر صـ٧١ وما بعدها، والموشح صـ١٠٥ وما بعدها، وأوهام شعراء العرب فى المعانى صـ١٧ وما بعدها.

(٢) راجع البيت في: الحيوان ٤٨٥/٤، الشعر والشعراء ٧٩٠/٢ والعقد الفريد ٢١٩/٦، وكتاب الصناعتين صـ١١٨. وديوان أبي نواس صـ٣٨٤.

وقوله أيضاً:

وعينـان كـالوقبين فـي قلـب صـخرة يُـرَى فيهمـا كـالجمرتين تسـعَّر[1]

وقد بيّن ابن رشيق سبب وقوع أبي نواس فى هذا العيب فقال: " ألا ترى إلى أبي نواس وهو متقدم فى المحدثين لمّا وصف الأسد- وليس من معارفه، ولعله ما شاهده قط إلا مرة فى العمر إن كان شاهده- دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزتين، وشبههما بعيون المخنوق، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشتامة وجه الأسد، وذهب عنه من صفة أبى زبيد وغيره لغئور عينيه لما هو أعلم به ممن أخذه عنه" [2]

ومن شواهد هذا العيب قول أيمن بن خزيم(٣)، يمدح بشر بن مروان:

وإنَّـا قـد رأينـا أمَّ بشـرٍ كـأمِّ الأُسْـدِ مـذكاراً ولُـودا[4]

فأتى فى هذا البيت بما هو أقرب إلى الذم منه إلى المدح؛ لأن الناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر وأولادها أقل، كما قال كثير عزة:

بُغـاثُ الطَّيـرِ أَكْثَرهَـا فِرَاخـا وأمّ الصَّـقر مِقْـلاتٌ نَـزُورُ [1]

---

(١) راجع: الصناعتين صـ١١٨، وسر الفصاحة صـ٢٦٣، وأوهام شعراء العرب فى المعاني صـ٢٦، الوقب فى الحجر: نقرة يجتمع فيها الماء. قيضاً اقتياضاً: حفر استئصالاً. المناقير: جمع منقار وهو حديدة كالفأس ينقر بها.

(٢) العمدة ٢/٢٤٠.

(٣) هو: أيمن بن خزيم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي، وهو ممن اعتزل موقعة الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث، وكان فارسا شريفا، وكان يتشيع وبه وضح.(راجع: التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص٣٨)

(٤) راجع البيت في: نقد الشعر صـ٧٢، الموشح صـ٢٨٤، والصناعتين صـ١٠٠، سر الفصاحة صـ٢٥٤، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ٨.

فالشاعر يجهل الحقائق والطبائع المتعلقة بالحيوانات الكريمة.

ومن هذا الباب قول الشماخ يصف الناقة:

فَنِعْمَ المُعْتَرى رَحَلَتْ إِلَيْهِ رَحَى حَيْزُومِهَا كَرَحَى الطَّحِينِ [٢]

شبه كركرة البعير – فى كبرها – برحى الطحين، وهذا خطأ وجهل من الشاعر بصفات النجائب من البعير؛ لأن النجائب توصف بصغر الكركرة ولطف الخف[٣].

وقد حاول بعض النقاد رفع الخطأ عن الشماخ، فذكروا أنه شبه رحى حيزومها برحى الطحين فى الصلابة لا فى الكبر والعظم[٤].

ومن شواهد هذا الباب قول النابغة الجعدي يصف ناقته:

كَأَنّ حَجَاجَ مُقْلَتِهَا قَلِيبٌ مِنَ الشِّيقَيْنِ حلّقَ مُسْتَقَاهَا [٥]

شبه حجاج مقلتها بقليب فى هذا الموضع المذكور الذى نضب ماؤه؛ ليكون أبعد غوراً. وهذا خطأ من الشاعر؛ لأن الحجاج لا يغور؛ لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب، وإنما الذى يغور هو العين[٦].

---

(١) راجع: نقد الشعر صـ٧٢، الموشح صـ٢٨٤، والصناعتين صـ١٠٠، سر الفصاحة صـ٢٥٤، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ٨، المقلات: الناقة تضع واحداً، والمرأة لا يعيش لها ولد.

(٢) راجع البيت في:عيار الشعر صـ١٥٩، الموشح صـ١١٣، والصناعتين صـ١١٤، والعمدة ٢٤٦/٢، وديوان الشماخ ص٣٢٤.. ورحى البعير: كركرته، أى زوره الذى إذا برك أصاب الأرض، وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة، وقيل: هى الصدر من كل ذي خف. والحيزوم: الصدر.

(٣) راجع: عيار الشعر صـ١٥٩، الموشح صـ١١٣، والصناعتين صـ١١٤، والعمدة ٢٤٦/٢.

(٤) انظر: العمدة ٢٤٦/٢، خزانة الأدب ٣٥٤/٤.

(٥) راجع البيت في: عيار الشعر صـ١٥٠، الصناعتين صـ٢٥٨.. والحجاج: العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب. والقليب: البئر. والشيقان: موضع. وحلق مستقاها: غار ماؤها.

(٦) راجع: عيار الشعر صـ١٥٠، الموشح صـ١١٢، الصناعتين صـ٢٥٨، أوهام شعراء العرب فى

والنابغة من الشعراء الذين أكثروا من وصف الناقة، ولعل الذى أوقعه فى هذا العيب والخطأ أنه لم يدقق الملاحظة فى رؤية أعضاء الناقة، ولم ينعم النظر فى الوصف(١).

ومن أمثلة هذا العيب قول النابغة يصف الناقة:

مَقْذُوفَـةٍ بِـدَخِيسِ الـنَّحْضِ بَازِلُهَـا لَـهُ صَـرِيفٌ صَـرِيفَ القَعْوِ بَالمَسَدِ (٢)

شبه صوت نابها بصوت البكرة التى تشد الدلو من البئر.. وهذا خطأ وجهل بطبائع الناقة؛ لأن صريف الفحول من النشاط، وصريف الإناث من الإعياء والضجر، كذا تكلمت العرب، ومنه قول ربيعة بن مقروم الضبي:

كِنَـــازَ البَضِـــيعِ جُمَالِيَّـــةً إِذَا مَـــا بَغَمْـــنَ تَرَاهـــا كَتُومَـــا

وقول الأعمش:

كَتُـــوم الرُّغـــاءِ إِذَا هَجَّـــرَتْ وكانَـــتْ بَقِيَّـــةَ ذَوْدٍ كُـــتُمْ (٣)

ومن شواهد هذا العيب قول بشامة بن الغدير، يصف راحلته:

وصَـــدْرٌ لهـــا مَهْيَـــعٌ كـــالخَلِيفِ تَخـــالُ بـــأَنَّ عليـــه شَـــليلاَ (٤)

المعانى صـ١٤، فن التشبيه ٢٢٦/٣.

(١) راجع: فن التشبيه ٢٢٦/٣.

(٢) راجع البيت في: الكامل للمبرد ٨٩/٣، والموشح ص٤٢، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص٣١١، ونضرة الأغريض ص٢٩، وأوهام شعراء العرب في المعاني ص٦، وديوان النابغة صـ ٣٤.. مقذوفة: أى مرمية باللحم. دخيس النحض: اللحم الذى دخل بعضه فى بعض من كثرته، البازل: الناب. الصريف: الصياح. القعو: البكرة. المسد: الحبل.

(٣) راجع: الموشح صـ٤٢، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ٦.

(٤) راجع البيت في: المفضليات للضبي صـ٥٧. والعمدة ٢٤٨/٢، وأوهام شعراء العرب ص٦.

أى لها صدر واسع كالطريق فى الجبل، تخال عليه مسحاً من صوف أو شعر لكثرة ما عليه من الوبر. قال ابن رشيق فى العمدة: إن الأصمعى خطّأه فيه؛ لأن من صفة النجائب قلة الوبر(١).

ومن شواهد الخطأ فى المعاني، قول رؤبة:

كنتم كمَنْ أدخَل فى جُحْرٍ يداً فأخطأ الأفعى ولاقى الأُسُودا(٢)

حيث جعل الأفعى دون الأسود فى المضرة، وهى أخبث منه وأشد عند العرب. والمقصود بالأسود هنا: الحية العظيمة(٣).

ومن هذا الباب قول النابغة الذبياني، يصف الناقة:

تَحِيدُ عن أسْتِنٍ سُودٍ أسافِلُه مشي الإماء الغَوادِي تَحْمِلُ الحُزَما (٤)

---

(١) العمدة ٢/٢٤٨، أوهام شعراء العرب فى المعانى صـ٦.

(٢) راجع البيت في: الحيوان ٢/٣٢٤، الشعر والشعراء ٢/٥٨٢.

(٣) راجع: الوساطة صـ١٣، الصناعتين صـ٩٠، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ٧، وفن التشبيه ٣/٢٥٨.

(٤) راجع البيت في: الشعر والشعراء ١/١٦٧، الكامل فى اللغة والأدب ٣/٧٠، الصناعتين صـ٨٤، الأستن: شجر إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس، وهو بشع المنظر تسميه العرب رؤوس الشياطين.

"قال الأصمعى: إنما توصف الإماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو لأنهن يجئن بالحطب إذا رحن "[١].

وقال العسكري: "وإنما تحمل الإماء حزم الحطب عند رواحهن، فأما غدوهن إلى الصحراء فإنهن مخفّات. والجيد قول الأخنس بن شهاب التغلبي:

تَظَلُّ بها رُبْدُ النَّعَامِ كأَنَّها ماءٌ تُزجَّى بالعَشِيِّ حَوَاطِبُ [٢]

فقد شبه النعام بالإماء الحواطب وقت العشي؛ لأن النعامة إذا خفضت عنقها ومشت كانت أشبه بماشٍ وعلى ظهره حمل[٣].

ومن الخطأ فى المعاني المخالف لواقع الطبيعة، قول الحكم الخضري يمدح قومه:

كانت بنو غالبٍ لأمّتِها كالغيْثِ في كلّ ساعةٍ يكِفُ [٤]

فإن العادة لم تجر بأن الغيث يسيل فى كل ساعة، ولم نعهد عند الشعراء أنهم وصفوا الغيث بالوكف فى كل ساعة ولا كل شهر، وإنما يشبهون الممدوح بالغيث لعموم إفضاله[٥].

ولعل الذى أوقع الشاعر فى هذا الخطأ هو الغلو فى الوصف زيادة فى المدح فانقلب الأمر إلى ضده[٦].

---

(١) الشعر والشعراء صـ١٦٧.

(٢) كتاب الصناعتين صـ٨٤.

(٣) راجع: أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ١٢.

(٤) راجع البيت في: نقد الشعر صـ٨٤، الموشح صـ٢٩٥ .وسر الفصاحة ص٢٥٤.

(٥) راجع: نقد الشعر صـ٨٤، الموشح صـ٢٩٥، سر الفصاحة صـ٢٥٤، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ١٧.

(٦) راجع: فن التشبيه ٣/٢٣٠.

ومن شواهد الخطأ فى المعنى لمخالفته الواقع والعرف، قول الطّرمّاح، يصف ناقته:

تَمْسَـــــحُ الأرض بمِعْنَـــــونَسٍ كمثـــل مـــئلاة النَّيـــاح القيَـــام[1]

قال المرزبانى: "فأفصح بأن الذنَبَ يمس الأرض، وأساء فى التشبيه أيضاً"[2]. فأخطأ خطأين كان فى غنى عنهما لولا أن المبالغة استدرجته إلى الأول فمهدت له السبيل إلى الثانى.

أما الأول: فجعل الذنَبَ يمسح الأرض، وإذا كان طوله قبيحاً مذموماً فى الإبل فبلوغه إلى هذا الحد أقبح وأدعى إلى الذم.

والثانى: أنه أراد أن يشبهه بثوب يجر، فشبهه بخرقة النائحة، وهى لا تجرها على الأرض، ولا تبلغ فى الطول أن تصلح لذلك، وإنما هى كالمنديل تمسكها بيدها وتشير بها إذا قامت تنوح؛ فأفسد التشبيه وأساء[3].

٢ـ التناقض بين المعاني :

ومعناه: أن يثبت الشاعر وصفاً، ثم يعود فيصفه بضد وصفه الأول، أو يذكر معنى يؤمن به ويركن إليه، ثم يأتى بمعنى آخر يخالفه فى الاتجاه[4].

وأول من تحدث عن هذا المقياس هو قدامة فى كتاب نقد الشعر[5].

---

(١) راجع البيت في: الموشح صـ٢٦٧، وأوهام شعراء العرب في المعاني ص١١..المعنونس: الذنب الطويل. المئلاة: خرق تمسكها النساء بأيديهن إذا قمن للنياحة.

(٢) الموشح صـ٢٦٧.

(٣) راجع: أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ١١.

(٤) راجع: أسس النقد الأدبي عند العرب د/ أحمد بدوى صـ٤١٨.

(٥) راجع: نقد الشعر صـ٨١ وما بعدها.

ومن شواهد هذا العيب قول المسيب بن علس يصف ناقته:

فَتَسَـلَّ حاجَتَهـا إذا هـيَ أَعرضـتْ بِخَميصَـةٍ سُـرُح اليـدَيْنِ وَسَـاعِ

وكـأَنَّ قَنْطَـرَةً بموضِـعِ كُورِهـا مَلسـاءَ بـينَ غَـوامِضِ الأَنْسـاعِ

وَإذا أَطَفْـتَ بهَـا أَطَفْـتَ بِكلْكَـلٍ نَـبِض الفَـرَائِص مُجْفَـر الأَضْـلاَعِ [1]

فقد وصف الشاعر الناقة بأنها (خميصة) أى: ضامرة فى البيت الأول، ثم شبهها بالقنطرة فى البيت الثانى، والقنطرة لا تكون إلا عظيمة وضخمة، وأكد هذا الوصف بقوله: (مجفر الأضلاع) فى البيت الثالث، والمجفر هو العظيم الجنبين وهذا تناقض واضح.

قال ابن طباطبا: "فكيف تكون خميصة وقد شبهها بالقنطرة، والقنطرة لا تكون إلا عظيمة، وقال: هى مجفر الأضلاع، وكل هذا ينقض ما ذكره من الخمص"[2].

ومما يدخل فى هذا الباب عدم الانسجام بين المعاني، مثل قول جرير:

طرَقَتْـكَ صَـائدةُ القلـوبِ وَلـيسَ ذا حـينَ الزيّـارَةِ فَـارْجِعي بسَـلامِ

تُجـرِي السّـوَاكَ علـى أغـرّ كأنّـهُ بَـرَدٌ تَحَـدّرَ مـن مُتُـونِ غَمَـامِ [3]

(١) راجع الأبيات في:المفضليات صـ٦١، وعيار الشعر ص١٦٧، والموشح ص١١٧، والصناعتين ص٩٤، وأوهام شعراء العرب في المعاني ص ١٥..والخميصة: الضامرة البطن. سرح اليدين: سريعة. الوساع: الواسعة السير. الأنساع: سيور عريضة. غوامض الأنساع: الداخلة فى جلدها تكاد لا ترى. المجفر: الواسع العظيم الجنبين من كل شيء.

(٢) عيار الشعر صـ١٦٧، الموشح صـ١١٧، الصناعتين ٩٤، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ١٥.

(٣) راجع البيت في: الشعر والشعراء ١٩٢/١، العقد الفريد ١٩٤/٦، الموشح صـ١٦٧.

فقد عاب النقاد عليه هذا الشعر من وجهين: أحدهما: ما وقع فيه من عدم الانسجام والارتباط بين المعنى فى البيتين؛ إذ كيف يطردها ويردها ثم يصفها ويشبه ثغرها- فى بياضه ولمعانه- بحبات البرد التى تتساقط من السحاب. ولهذا يقول المرزبانى: "فليته إذ كان طردها ما وصفها"(١).

والثانى: مخالفته مذهب الشعراء وطريقتهم فى الغزل، فليس من عادتهم رد زيارة الحبيب. قالوا: وأى وقت أحسن للزيارة من الطروق هلا قال: فادخلي بسلام(٢).

٣- قلب المعنى(٣):

والمقصود به: أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه مع إثبات حكم كل منهما للآخر.

وقد يكون مقبولاً إذا تضمن اعتباراً لطيفاً، مثل قول ابن الأعرابي:

ورأيــن شــيخاً قــد تحنّــى صــلبه يمشــي فــيُقْعِس أو يكــبّ فيعثــر(٤)

وقد يكون معيباً مردوداً إذا ترتب عليه لبس وقلب للمعنى عن وجهه الصحيح، ومثلوا للمعيب بأمثلة كثيرة، منها قول النابغة:

---

(١) الموشح صـ١٦٧، وانظر: سر الفصاحة صـ٢٦١، وأنوار الربيع فى أنواع البديع لابن معصوم صـ٢٦٩.

(٢) انظر: البديع فى نقد الشعر صـ١٦٥، وسر الفصاحة صـ٢٦١.

(٣) هذا النوع مخالف لما هو معروف عند البلاغيين فى باب التشبيه بـ (قلب التشبيه) أو (التشبيه المقلوب)؛ لأن التشبيه المقلوب الذى هو جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً على سبيل المبالغة والادعاء من المتفق عليه ولا خلاف فيه بين العلماء.

(٤) الأصل: أو يعثر فيكب أي يسقط على وجهه، والاعتبار اللطيف أن فى القلب تخييل أنه من غاية ضعفه يسقط على وجهه قبل عثاره. (راجع: أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ١٩. والبيت فى الاختيارين للأخفش صـ٥٣٧).

كَانَــت فَريضَــةَ مَــا تقُــولُ كَمَــا كَــانَ الزِّنَــاءُ فريضَــةَ الــرَّجْم [١]

والأصل: كما كان الرجم فريضة الزنا، لكن الشاعر قلب المعنى، وهو قلب معيب لا يتضمن نكتة بلاغية، ولعل الذى دعاه إلى هذا القلب هو إصلاح الوزن والضرورة، وهذا معدود من عيوب ائتلاف المعنى مع الوزن عند بعض العلماء[٢].

ومن قلب المعنى فى التشبيه، قول الشماخ يفخر بسلامة نسبه إلى والده:

منــه ولـدت ولـم يؤْشَـب بـه حسـبي ليّـا كمـا عُصِـبَ العِلْبـاء بـالعودِ [٣]

والمعنى: أنه لم يخلط نسبه بغير أبيه كما يعصب العود إذا انكسر بالعلباء. وأصل المعنى: كما عصب العود بالعلباء، لكنه قلب المعنى، وهو قلب لا مسوغ له[٤].

ومن هذا الباب قول الراعي النميري:

فصَــبَّحَتْه كــلابُ الغــوث يُؤْسِــدُها مُسْتَوْضِـحُونَ يَـرَوْنَ العـينَ كـالأَثَرِ [٥]

(١) راجع البيت في: الموازنة للآمدي ٢٢٠/١، الوساطة صـ٤٦٩، سر الفصاحة صـ١١٥، معاهد التنصيص للعباسي ١٧٨/١.

(٢) راجع: نقد الشعر صـ٨٧، الموشح صـ١٠٩، تحرير التحبير صـ٢٢٣، خزانة الأدب ٤٤٤/٢.

(٣) راجع البيت في: المعاني الكبير ٥٢٣/١، أنوار الربيع فى أنواع البديع صـ٤٨٧، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ٢٢، وديوان الشماخ ص١٢٠.. ويؤشب به: يخلط. والعلباء بالكسر: عصب العنق، وكانت العرب إذا تصدع رمح تعصبه به وهو رطب فيجف عليه.

(٤) راجع: الوساطة صـ٤٦٩، أنوار الربيع صـ٤٨٧، أوهام شعراء العرب صـ٢٢.

(٥) راجع البيت في: المعاني الكبير ٧٤٢/٢، أوهام شعراء العرب صـ٢٠.. يؤسدها: يغريها، المستوضح: هو الذى ينظر هل يرى شيئاً.

وأصل المعنى: يرون الأثر كالعين[١].

٤ـ فساد المعنى :

ومنه قول أبى تمام يمدح أبا سعيد الطائي:

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ أنَّ الأرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أهْلِهِ بَلَدُ [٢]

بالغ فى سعة صدر الممدوح، فجعل صدره فى السعة والرحب أوسع من الأرض.

قال الجرجانى فى الوساطة: "وهذا المعنى فاسد؛ لأنه جعل البلاد إنما تضيق بأهلها لضيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتساع صدره لم تضق البلاد، ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط فى الأصل على قدر سعة الأرض وضيقها، وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة، ولاتساع ما فيها من المدن أيضاً، وهى على حالها، وإنما تؤسس وتبتدئ على قدر الحاجة إليها، فإذا استمر بها الزمان وكثرت العمارة، وظهر فيها ما يستدعى الناس إليها ضاقت، فإن جاورتها فُسَحٌ وعراصٌ وُسّعت، وإلا احتمل لها بعض الضيق، فلو اتسعت الأرض حتى امتدت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التى تنشأ فيها على مقاديرها"[٣].

وقد عاب العسكري على هذا المعنى أيضاً، وذكر " أن البلد التى تضيق بأهلها لم تضق بأهلها لضيق الأرض، ومن اختط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الأرض وسعتها، وإنما اختطت على حسب الاتفاق، ولعل المسكون منها لا

---

(١) راجع: المعاني الكبير ٧٤٢/٢، أوهام شعراء العرب صـ٢٠.

(٢) راجع البيت في: الموازنة ٢٠٣/١، والوساطة صـ٧٧، والمنصف للسارق والمسروق منه ص٢٩٨، والصناعتين ص١٢٤،وصبح الأعشى٢١٥/٢،وأوهام شعراء العرب ص٢٦، وديوان أبي تمام ص٩٥.

(٣) الوساطة صـ٧٧.

يكون جزءاً من ألف جزء، فلأي معنى تصييره ضيق البلدان الضيقة من أجل ضيق الأرض، والصواب أن يقول: ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك، أو لضاقت عنها السماء، أو يقول: لو أن سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهل بلد، والجيد فى هذا المعنى قول البحتري:

مفـازَةُ صـدْرٍ لـو تطـرّق لـم يكـن ليسـلُكها فـرداً سُـلَيكُ المقانـب[1]

" أى لم يكن ليسلكها إلا بدليل لسعتها"[2].

ومما يلحق بفساد المعنى ويكون سبباً فيه: (الإخلال) وعرفه قدامة بقوله: "أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى"[3].

ومن شواهده فى التشبيه، قول جميل:

لا حُسـنها حسـنٌ، ولا كـدلاها دلٌ ولا كوقارهـا تـوقير[4]

فحذف كاف التشبيه، فصار المعنى، كأنه: ليس حسنها حسناً، وهذا إخلال واضح بالمعنى يخالف مقصود الشاعر[5].

(١) ديوان البحترى ١٠٧/١، المقانب: جماعة الخيل والفرسان. سليك: أحد العدائين المشهورين.

(٢) كتاب الصناعتين صـ١٢٤، وانظر: أوهام شعراء العرب فى المعانى صـ٢٦.

(٣) نقد الشعر صـ٨٥.

(٤) البيت فى: العمدة ٢٦٨/٢.

(٥) السابق ٢٦٨/٢.

المبحث الثالث
مقاييس نقد التشبيه المعيب فى الصنعة والأصول

١- انعدام الشبه والمناسبة بين الطرفين أو بُعده.

٢- عدمُ تحقق وجه الشبه أو خفاؤه وبُعده.

٣- الخلل فى التركيب والترتيب.

٤- التناقض فى التشبيه

٥- الابتذال والإسفاف.

٦- الغلو الممقوت فى التشبيه.

٧- مخالفة سنن العرب فى صنعة التشبيه.

٨- التقليد والاحتذاء فى صنعة التشبيه.

المبحث الثالث

مقاييس نقد التشبيه المعيب فى الصنعة والأصول

وضع البيانيون أصولاً لاستحسان التشبيه وقبوله، راعوا فيها اعتبارات مختلفة، منها ما يتعلق بالغرض الرئيس من التشبيه وهو الإيضاح والبيان؛ لذا كان من أشد عيوبه قبحاً أن يأتى مبهماً مستغلقاً، ولهذا اشترط الرماني فى التشبيه أن يخرج الأغمض إلى الأظهر، ويقرب البعيد [١].

ومنها ما يتعلق بطرفي التشبيه وما ينبغى أن يكونا عليه من تناسب وتشابه يسوغ للربط والجمع بينهما؛ وإلا عُدَّ التشبيه معيباً، وقد أشاروا إلى هذا العيب فى سياق حديثهم عن التشبيهات البعيدة، ويقصدون بُعد الشبه والمناسبة بين الطرفين.

ومنها ما يتعلق بوجه الشبه، وما يستلزم ذلك من تحقق الوجه فى الطرفين تحقيقاً أو تخييلاً، وظهوره ووضوحه فى المشبه به. ومخالفة هذا الأصل مما يعيب التشبيه ويجعله فاسداً.

ومنها ما يتعلق باتباع منهج العرب وعاداتهم فى التشبيه، وغير ذلك من الأصول التى راعوها فى صنعة التشبيه، حتى إنهم جعلوا (الإصابة فى التشبيه) من أركان الشعر الجيد[٢].

وإذا خالف الشاعر هذه الأصول والضوابط التى وضعها العلماء، عُدَّ التشبيه معيباً ومردوداً، وسوف نتعرف الآن على مقاييس نقد التشبيه المعيب فى الصنعة والأصول، ومنها:-

(١) راجع: النكت في إعجاز القرأن للرماني، ص٨١، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(٢) راجع:الشعر والشعراء صـ٨٥.

١ـ انعدام الشبه والمناسبة بين الطرفين أو بُعده:

الأصل فى التشبيه أن يربط بين طرفين بينهما مشابهة ومناسبة، سواء كانت هذه المشابهة من عدة وجوه أو من وجه واحد، ولا يخفى أن مراعاة جهة التشبيه بين الطرفين هى عنوان الدقة ومظهر الإصابة، ودليل القدرة على براعة الشاعر، وهى ميزان التشبيه الذى نحكم به على الشاعر أو له(١).

وإذا لم يكن هناك شبه بين الطرفين أو مناسبة دقيقة تسوغ الجمع والربط بينهما عُدَّ التشبيه معيباً وفاسداً.

ومن شواهد هذا العيب قول الفرزدق يصف مشية الأبطال فى ميدان الحرب:

يمشونَ فـي حلقِ الحديد كما مشتْ جـربُ الجمـالِ بهـا الكحيـلُ المشـعلُ(٢)

" فشبه الرجال فى الدروع بالجمال الجُرْب، وهذا من التشبيه البعيد، لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فى اللون؛ لأن لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك سميت السيوف بالبيض، ومع كون هذا التشبيه بعيداً فإنه تشبيه سخيف"(٣).

ومنه قول ساعدة بن جُؤَيَّة يصف السهام(٤):

كسَـاهَا رَطِيـبُ الـرِّيشِ فاعْتَـدَلَتْ لَـهَا قِـــداحٌ كأعْنَـــاقِ الظِّبَـــاءِالفوارق (٥)

قال العسكري: "شبه السهام بأعناق الظباء وليس بينهما شَبَهٌ، ولو وصفها

---

(١) راجع: فن التشبيه ١٣٨/١.

(٢) راجع البيت في: المثل السائر١٢٣/٢، والطراز للعلوي١٥٣/١، وديوان الفرزدق صـ٤٩٠..حلق الحديد: الدروع. الكحيل: القطران الذى تطلى به الإبل.

(٣) المثل السائر ١٢٣/٢، والطراز ١٥٣/١.

(٤) هو ساعدة بن جؤية الهذلي من بنى كعب بن كاهل من سعد هذيل، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام (الأعلام للزركلي ٧٠/٣).

(٥) راجع البيت في: عيار الشعر صـ١٥٠، الموشح صـ١١٢، الصناعتين صـ٢٥٧. والفوارق: التى أخذها المخاض فندت فى الأرض.

بالدقة لكان أولى" [١]. وقال ابن الأثير: "شبه السهام بأعناق الظباء، وذلك من أبعد التشبيهات" [٢]. وقال العلوي: "ولا ملاءمة هنا بين المشبه والمشبه به، وهما فى غاية البعد"[٣].

ومنه قول النابغة الذبيانى:

تَخْـــدي بِهِـــمْ أَدُمٌ كـــأنَّ رِحَالَهَـــا عَلَـقٌ أرِيـقَ علـى مُتُـونِ صُـوَارِ [٤]

أى: تسير بهم إبل كأن رحالها دم أريق على ظهور بقر الوحش.

فالمشابهة بين الرحل والدم المراق على ظهور البقر الوحشي بعيدة، إذ لا يحسن فى وصف سرعة السير التشبيه بالدماء المراقة، كما أن صورة الدماء المراقة على الصوار غير معهودة، وسرعة سير الإبل معروفة، فكيف يشبه المعروف الواضح بالمخفي الغامض غير المشاهد، ولهذا عدَّ ابن طباطبا هذا البيت من التشبيهات البعيدة التى لم يلطف أصحابها فيها، ولم يخرج كلامهم فى العبارة سلسلاً[٥].

ومن بُعد الشبه بين الطرفين قول أبى تمام يصف الفرس:

هاديـــه جـــذعٌ مـــنَ الأراكِ ومـــا تحـت الصـلا منـهُ صـخرةٌ جلـسُ [٦]

ذكر الآمدى أن أبا العباس أحمد بن عبيد الله أنكر على أبى تمام هذا

(١) الصناعتين صـ٢٥٧.

(٢) المثل السائر ١٢٣/٢.

(٣) الطراز ١٥٤/١.

(٤) راجع البيت في: عيار الشعر صـ١٤٨، الموشح صـ١١٠، الصناعتين صـ٢٥٧، وديوان النابغة ص٥٥.

(٥) راجع: عيار الشعر صـ١٤٨، الموشح صـ١١٠، الصناعتين صـ٢٥٧.

(٦) راجع البيت في: الموازنة ١٤١/١، وديوان أبى تمام صـ١٥٧..الهادى: العنق، والصلا: وسط الظهر. الظهر. والجلس: العظيمة.

التشبيه؛ لبعد المشابهة والمقاربة بين الطرفين؛ حيث شبه عنق الفرس بالجذع وجعله من الأراك!! فمتى كان للأراك جذوع تشبه بها أعناق الخيل؟ لأن عيدان الأراك لا تغلظ حتى تصير كالجذوع ولا تقاربها[١]. فالمشابهة بين الطرفين غير دقيقة.

ومن بُعد المشابهة بين الطرفين، قول بشر بن أبي خازم يصف سفينة:

وَنحـــن علـــى جوانبهـــا قعُـــود نغـــض الطّـــرف كَالْإِبِـــلِ القمـــاح [٢]

وهذا- لعمري- فى غاية البعد؛ لأن معنى غض طرفه: كسره وأطرق ولم يفتح عينيه. والإبل القماح: الرافعات رؤوسها عن الماء الممتنعة عن الشرب. فكيف يشبه المطرق بالرافع رأسه؟! وأي مناسبة ومشابهة بينهما؟![٣]

ومما عدوه من البعيد المستنكر، قول بعض الأعراب يصف الشيب:

مـــلاَ حـــاجبَيَّ الشـــيبُ حَتَّـــى كأنَّـــهُ ظبـــاءٌ جَـــرَتْ مِنْهَـــا سَـــنيحٌ وبـــارحُ[٤]

فقد شبه الشيب فى الحاجبين بظباء سوانح وبوارح، وليس ثمة تناسب بين الشيب فى الحواجب وتلك الظباء؛ لعدم ظهور جهة للتشبيه تجمع بينهما، فالحاجبان يأخذان تلك الوجهتين يميناً ويساراً فى وجه الإنسان قبل أن يبيّض شعرهما. فما الجديد الذى استوجب التشبيه وسوغ الجمع بينهما؟!

ومن شواهد التشبيه الذى لم يراع فيه الجمع بين المعاني المناسبة أو

---

(١) راجع: الموازنة ١٤١/١، وفن التشبيه ٢٦٦/٣.

(٢) راجع البيت في: الشعر والشعراء صـ٢٦٣، وديوان المعاني١٢/٢، نهاية الأرب٢٥٦/١.

(٣) راجع: أوهام شعراء العرب فى المعانى صـ١٤.

(٤) راجع البيت في: الصناعتين صـ٢٥٨، المثل السائر ١٢٣/٢، الطراز ١٥٤/١.. سنيح: السانح من الظباء والطير هو الذى يمر أمام المرء من اليسار إلى اليمين والعرب تتفاءل به لأنه أمكن للصيد، والبوارح: خلافه، والعرب تتطير منه لأنه عسير صيده.

المشابهة، ولم يحسن أصحابها فى التوفيق بين الطرفين، قول ابن هَرْمَة[1].

وَإِنِّـــي وتَرُكـــي نَـــدَى الأكرَميـــنَ وقَدْحِـــي بكَفِـــي زِنـــاداً شَـــحَاحَا

كتارِكَـــةٍ بَيْضهَـــاَ بالعَـــراءِ ومُلبِسَـــةٍ بَـــيْضَ أُخْـــرَى جَنَاحَـــا

وقول الفرزدق يهجو جريراً:

فإنَّـــك إذْ تَهَجـــو تَمِيمـــاَ وتَرْتَشِـــي سَـــرَابيلَ قَـــيسٍ أَو سُـــحوقَ العَمَـــائِمِ

كمُهْرِيـــقِ مـــاءٍ بـــالفَلاةِ وغَـــرَّهُ سَـــرابُ أذَاَعَتْـــهُ ريـــاحُ السَّـــمائم[2]

قال ابن طباطبا: "كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق، وبيت للفرزدق مع بيتٍ لابن هرمة، فيقال:

وَإِنِّـــي وتَرُكـــي نَـــدَى الأكـــرَمينَ وقَـــدْحِي بكَفَّـــي زِنـــاداً شَـــحَاحَا

كمُهْرِيـــقِ مـــاءٍ بـــالفَلاةِ وغَـــرَّهُ سَـــرابٌ أذَاَعَتْـــهُ ريـــاحُ السَّـــمائم

ويقال:

فإنَّـــك إذْ تَهَجـــو تَمِيمـــاَ وتَرْتَشِـــي سَـــرَابيلَ قَـــيسٍ أَو سُـــحوقَ العَمَـــائِمِ

كتارِكَـــةٍ بَيْضـــهَاَ بـــالعَرَاءِ ومُلبِسَـــةٍ بَـــيْضَ أُخْـــرَى جَنَاحَـــا

حتى يصح التشبيه للشاعرين، وإلا كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذى أريد له"[3].

وهذا نقد من ابن طباطبا فى أعلى درجات الحسن والإدراك؛ لأن الشاعر

(١) شاعر زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري المدني، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ت١٧٦هـ.. راجع: سير أعلام النبلاء٦/٣٣١.

(٢) سحوق العمائم: البالية.

(٣) عيار الشعر صـ٢١٠، وانظر: الموشح صـ٣٠٢، الصناعتين صـ١٤٥، وسر الفصاحة صـ٢٥٥، والبديع فى نقد الشعر صـ١٤٩، نضرة الإغريض صـ٨٧، أوهام شعراء العرب فى المعاني صـ١٤.

الجيد هو الذى يوفق بين طرفي التشبيه ويراعي المناسبة بين المعاني وحسن تجاورها فى النظم والربط .

وبإنعام النظر فى معاني الأبيات يظهر لنا الخطأ فى الترتيب الأول، وصحته فى الترتيب الثاني؛ لأن من يترك استمناح الأجواد الكرماء المتحقق بذلهم ويستميح الأشحاء اللئام الذين لا تندى أيديهم، يشبه من يريق ماءً فى يده اعتماداً على سراب غرار لا يجديه شيئاً.

وكذلك من يهجو قومه ويضع منه بذمّه لهم، ويمدح أعداءهم ابتغاء ما يناله من عرض حقير، فإنه أشبه ما يكون بالنعامة الحمقاء التى تجفو بيضها فيعطب ويموت، بينما تنام على بيض غيرها فتمنحه الحياة والبقاء(١).

٢ـ عدم تحقق وجه الشبه أو خفاؤه وبُعده:

وجه الشبه: هو المعنى المشترك بين الطرفين، الجامع لهما فى قصد المتكلم. ولابد من وجوده فى الطرفين تحصيلاً للفائدة إما تحقيقاً أو تخييلا، فإن تجرد الطرفان منه على وجه التحقيق أو التخييل؛ وقع التشبيه مختلاً وفاسداً لعدم فائدته(٢).

وحتى يتحقق وجه الشبه لابد أن يكون وجوده فى المشبه به أقوى وأظهر وأشهر من المشبه؛ لأن المشبه به كالمبَّين المعرف للمشبه فيجب أن يكون أعرف بوجه الشبه (٣).

ومن شواهد عدم تحقق الوجه قول أبي نواس يصف داراً وقف فيها:

(١) راجع: فن التشبيه ٨/٣.

(٢) راجع: فن التشبيه ١١٤/١.

(٣) راجع:بغية الإيضاح ٣٥/٢.

كأنَّهـــا إذا خَرِسَـــتْ جَـــارِمٌ بـــين ذَوِي تَفْنِيـــدِه مُطْـــرِقُ [1]

شبه خرس الدار بخرس الجاني الذى ثبتت عليه التهمة.. وهذا مخالف لأصول الصنعة فى التشبيه؛ لأن وجه الشبه فى المشبه به يجب أن يكون أظهر وأقوى منه فى المشبه. فالدار هى الأصل الذى يقاس عليه غيره فى الخرس والصمم، فهى الأحق أن تكون مشبهاً به وليس العكس.

ولهذا يقول الجاحظ: " إنه لا يقول أحد: لقد سكت هذا الحجر كأنه إنسانٌ ساكت، وإنما يوصف خرس الإنسان بخرس الدار، ويشبه صممه بصمم الصخر"[2].

ويقول ابن قتيبة: " شبه ما لا ينطق أبداً فى السكوت بما قد ينطق فى حالٍ وإنما كان يجب أن يشبه الجاني إذا لاموه وعاتبوه فسكت وأطرق رأسه لانقطاع حجته بالدار، وإنما هذا مثل قائل قال: مات القوم حتى كأنهم نيام!! والصواب أن يقول: نام القوم حتى كأنهم موتى"[3].

ومثله قول امرئ القيس:

ألـم تسـأل الرَّبـع القَـدِيم بعَسْعَسَـا كـأني أُنَـادي إذْ أُكَلِّـمُ أخْرَسَـا [4]

قال العسكري: "هذا من التشبيه فاسد؛ لأجل أنه لا يقال: كلمت حجراً فلم

(١) راجع البيت فى: الحيوان ٤/٤٨٥، الشعر والشعراء ٢/٧٩١، والصناعتين صـ٧١، الجارم: الجانى. التفنيد: التكذيب، والمراد هنا اللوم والعذل.

(٢) الحيوان ٤/٤٨٥، والصناعتين صـ٧١.

(٣) الشعر والشعراء ٢/٧٩١.

(٤) راجع البيت في: الصناعتين ٧١، وديوان امرئ القيس صـ ١١١، ورواية البيت فى الديوان:

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا .. كأنى أنادى إذ أكلم أخرسا

وعسعس: موضع بالبادية.

يجب فكأنه كان حجراً"[(١)].

والعسكري يقرر ضمناً فى هذا النقد أن وجه الشبه فى المشبه به يجب أن يكون أظهر وأكمل منه فى المشبه، وقد ألمح إلى هذا قوله: "والذى جاء به امرؤ القيس مقلوبٌ"[(٢)] ، كما أنه لم تتحقق فيه نكتة المبالغة التي في التشبيه المقلوب.

ويقصد بالقلب أنه جعل الطلل- الذى هو أصلٌ يقاس عليه غيره فى الخرس وعدم الإجابة- مشبهاً.

ومن التشبيهات المعيبة؛ لعدم ظهور وجه الشبه فى المشبه به، قول الشاعر:

فألفَيتُ الأمانَةَ لم تَخُنْها كذلكَ كانَ نُوحٌ لا يَخُونُ [(٣)]

قال الجاحظ: " وليس لهذا الكلام وجه، وإنما ذلك كقولهم: كان داود لا يخون وكذلك كان موسى لا يخون- عليهما السلام-، وهم وإن لم يكونوا فى حالٍ من الحالات أصحاب خيانة ولا تجوز عليهم، فإن الناس إنما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال ومن سائر أمورهم، كما قالوا: عيسى ابن مريم روح الله وموسى كليم الله، وإبراهيم خليل الرحمن، صلى الله عليهم وسلم. ولو ذكر ذاكر الصبر على البلاء فقال: كذلك كان أيوب لا يجزع، كان قولاً صحيحاً.ولو قال: كذلك كان نوح عليه السلام لا يجزع، لم تكن الكلمة أعطيت حقها.

---

(١) كتاب الصناعتين صـ٧١.

(٢) السابق صـ٧١.

(٣) أورده الجاحظ فى الحيوان من الأشعار المنحولة للنابغة ٣٨٠/٢، والشعر والشعراء ١٥٧/١، والعقد الفريد ١١٩/٦.

ولو قال: سألتك فمنعتنى وقد كان الشعبي[١] لا يمنع، وكان النخعي[٢] لا يقول:لا؛ لكان غير محمود في جهة البيان، لأنه لما لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما، لم تصرف الأمثال إليهما"[٣].

فالجاحظ هنا يؤصل لأصل مهم من أصول التشبيه، وهو أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أشهر وأعرف منه فى المشبه.. لكن الشاعر خالف هذا الأصل فجاء التشبيه معيباً.

ومن التشبيهات المعيبة؛ لبُعد وجه الشبه المستفاد من التشبيه وخفائه، قول الشاعر:

بـــل لـــو رأتنـــى أخـــت جيراننـــا إذ أنـــا فـــى الـــدَّار كـــأنَّي حِمَـــار[٤]

فقد ذكر المبرد أن الشاعر شبه نفسه بالحمار فى الصحة وقوة البدن، وهذا وجه بعيد، لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره، والشائع أن يشبه بالحمار فى البلادة والجهل، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [٥]. أى: صاروا مثل الحمار الذى يحمل ولا يعلم ما فيها[٦].

ومن التشبيهات المعيبة؛ لكون الوجه فى المشبه به أقل شهرة وظهوراً من المشبه، قول البحترى فى وصف سواد الليل:

(١) الشعبى: هو من التابعين الذين يضرب المثل بحفظهم توفى سنة ١٠٣هـ بالكوفة.

(٢) النخعى: أحد التابعين مات مختفيا من الحجاج سنة ٩٣هـ.

(٣) الحيوان ٣٨٠/٢.

(٤) أورده المبرد فى الكامل ٩٨/٣، والمصون فى الأدب للعسكرى صـ٥٩.

(٥) سورة الجمعة:آية ٥.

(٦) راجع: الكامل ٩٨/٣.

على باب قِنَّسرينَ والليلُ لاطخٌ جَوَانبَه من ظُلمةٍ بمدادِ [1]

فالمشبه به وهو (المداد) أقل شهرة واكتمالاً فى صفة السواد من المشبه وهو الليل.

قال الشيخ عبدالقاهر الجرجاني: " فالمداد ليس من الأشياء التى لا مزيد عليها فى السواد، كيف ورُبَّ مداد فاقد اللون، والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى أن يكون مثلاً"[2].

ومن التشبيه المعيب؛ لعدم تحقق الوجه فى المشبه به، قول المرَّار[3]، يصف الخال على خد محبوبته:

وخالٍ على خدَّيْكَ يبدو كأنّهُ سَنا البَدرِ في دعْجاءَ بادٍ دُجونُها [4]

وجه الشبه الذى قصده الشاعر هنا: هو هيئة اجتماع سوادٍ وبياض على طريق مخصوصة، وهى أن يكون السواد صغيراً فى وسط البياض.

وعند التأمل نجد أن الوجه بهذه الخصوصية والهيئة غير متحقق فى المشبه به وهو (هيئة ظهور بدرٍ مضئ فى ليلة مظلمة شديدة السواد)، بل إنه على نقيض الصورة والهيئة الموجودة فى المشبه.

ولعل الذى أوقع الشاعر فى هذا العيب هو غفلته عن مراعاة صورة وجه

---

(١) راجع البيت في: ديوان المعاني١/٣٤٤، وأسرار البلاغة ص٢٢٠، وبغية الإيضاح ٢/٣٦.. وقنسرين: موضع بالشام قرب حلب.

(٢) أسرار البلاغة صـ٢٢٠، والبغية ٢/٣٦.

(٣) هو المرَّار بن منقذ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان معاصراً لجرير والفرزدق؛ والمرار لقبه، واسمه زياد بن منقذ. (الشعر والشعراء ٢/٦٨٦).

(٤) أورده قدامة فى: نقد الشعر صـ٨٤، والموشح صـ٢٩٥، والصناعتين صـ٩٦، وسر الفصاحة الفصاحة صـ٢٥٤، دعجاء: ليلة سوداء. دجونها: سوادها.

الشبه فى صياغته للتشبيه، ومسارعته إلى رسم مجرد اجتماع بياض وسوادٍ؛ مما جعل التشبيه فاتر الحس، خابي العاطفة، فضلاً عن مخالفته العرف كما ذكر العلماء، حيث إن المعهود أن الخال أسود، والخد أبيض، لكنه عكس فجعل الخال بدراً، والخد ليلاً، وهذا مناقض للعادة(١).

ومن التشبيهات المعيبة التى خفى فيها وجه الشبه، قول بعضهم يمدح:

وَمِـــنْهُم عمـــرٌو المَحْمُـــودُ نائِلُـــهُ كأنَّمـــا رَأْسُـــهُ طِـــينُ الخَـــواتيمِ (٢)

فليس ثمة وجه شبه ظاهر يربط بين رأس الممدوح وطين الخواتيم.

وقد ذكر صاحب جمهرة أشعار العرب أن الفرزدق حكم بفساد هذا التشبيه وقال لما سمع هذا البيت من صاحبه: يا ابن أخي، إن للشعر شيطانين يُدْعى أحدهما الهوبر والأخر الهوجل، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصحَّ كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك فى هذا البيت فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت(٣).

والفرزدق أدرك بذوقه الرفيع وحسه المرهف موطن الخلل فى الصنعة؛ ذلك أن الشاعر جمع فى هذا التشبيه بين خفاء الوجه فأفسد الصورة ، وبين قبح اللفظ (الطين) وهو ما ينافي الذوق السليم لاسيما فى مقام المدح.

٣- الخلل فى التركيب والترتيب :

قد ينظم الشاعر صورته التشبيهية فى هيئة مركبة، وحينئذٍ ينبغى عليه أن يراعى المقابلة بين أجزاء الصورة حتى يقع التركيب موقعه المناسب من مقصود

(١) راجع: نقد الشعر صـ٨٤، والموشح صـ٢٩٥، والصناعتين صـ٩٦، وسر الفصاحة صـ٢٥٤، نضرة الإغريض صـ٨٥، أوهام شعراء العرب صـ١٧.

(٢) جمهرة أشعار العرب صـ٦٣.

(٣) السابق صـ٦٣.

الشاعر، وحتى لا تختلط خطوط الصورة المركبة وتتبدل ملامحها، فيقع الشاعر فى الخطأ الذى يفسد التشبيه ويعيبه.

والأمر كذلك فى التشبيه المتعدد، فينبغى على الشاعر أن يراعي الترتيب والتفسير فى إرجاع كل طرفٍ إلى ما يشابهه، وإلا وقع الخلل والعيب فى التشبيه.

ومن شواهد التشبيهات المعيبة لوقوع الخلل فى التركيب، قول الفرزدق:

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنه ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ [1]

قال الحاتمى: " وهذا خطأ؛ لأن هذا البيت مركبٌ تركيباً معكوساً، ولا تصح المقابلة فى التشبيه بين أجزائه إلا أن يقول: والشيب ينهض فى الشباب كأنه نهار يصيح بجانبي ليل" [2].

فالشاعر لم يراع صحة المقابلة بين أجزاء التشبيه، حيث قابل الليل- وهو أسود مظلم- بالشيب- وهو أبيض-، كما قابل النهار- وهو مضيء- بالشباب أى: الشعر الأسود، ولاشك أن هذا خلل فى التركيب والمقابلة يترتب عليه كون التشبيه معيباً.

ومثل هذا العيب قول الصفدي، يصف القمر يتراءى من خلال الأغصان فى روضة:

كأنَّما الأغصانُ فى روضها والبدرُ فى أثنائها يَسْفرُ

بنتُ مَلِيْكٍ سار فى موكبٍ قامتْ إلى شُبَّاكها تنظرُ [3]

(١) راجع البيت في: الشعر والشعراء ٦٩/١، الموشح صـ١٣٧، والصناعتين صـ٢٥٤، والعمدة ٢٦٧/١. وديوان الفرزدق صـ٣٢٣.

(٢) حلية المحاضرة ٧٠/١، أنوار الربيع صـ٤٠٩.

(٣) راجع: خلاصة الأثر للحموي ١٦٤/٣، سلافة العصر لابن معصوم صـ٣٣.

فالشاعر أراد أن يشبه البدر- يظهر من خلال الأغصان حال انثنائها ويحتجب فى حال اعتدالها- ببنت مليكٍ خلف الشباك تتراءى مرة وتختفى أخرى[1].

لكن من يتأمل فى تركيب الصورة ونظمها يدرك أنها التوت عليه، وندت عن إرادته، فاختلفت خطوط الصورة وتبدلت ملامحها، فقد جعل الشاعر (الأغصان) فى مقابلة (بنت المليك) بينما المقصود جعل (البدر) فى مقابلة بنت المليك؛ مما أفسد الصورة.

وقد نقل الحموى فى خلاصة الأثر أن النواجي انتقد هذا التشبيه، فقال "لا يخفى ما فيه من ضعف التركيب، وكثرة الحشو، وقلب المعنى، وذلك أنه جعل الأغصان مبتدأ، وأخبر عنه ببنت المليك، وهو فاسدٌ، على أنه لم يخترع هذا المعنى، بل سبقه إليه القاضى محيي الدين ابن قرناص فقال:

وحديقةٌ غنَّاء ينتظم النّدى بفروعها كالدّر فى الأسلاكِ

والبَدْرُ من خَلَلِ الغصونِ كأنَّه وجْهُ المليحةِ كحل من شبّاك

فانظر إلى حشمة هذا التركيب وانسجامه، وعدم التكلف والحشو، واستيفاء المعنى فى البيت الثاني فحسب، والصفدي لم يستوف المعنى إلا في بيتين، مع ما فيهما، ولو أنه قال:

كأنَّ بدْرَ التمّ فى روضة من خَلَلِ الأغصانِ إذْ يَسْفُرُ

بنت مليكٍ سار فى موكبٍ قامت إلى شبَّاكها تنظرُ

لتم له من غير تكلف"[2].

(١) راجع: فن التشبيه ١٥٧/١.

(٢) خلاصة الأثر ١٦٤/٣، وسلافة العصر صـ٣٣.

ومن التشبيهات المعيبة؛ لوقوع الخلل فى ترتيب التفسير، قول البحتري:

تبسـمٌ وقطـوبٌ فـي نـدىً ووغـىً كالغيث والبرق تحت العارض البرد[١]

يقول ابن الأثير: "وفيه إخلالٌ من جهة الصنعة، وهى ترتيب التفسير؛ فإن الأولى أن يقدم تفسير التبسم على تفسير القطوب، بأن يقول: (كالبرق والرعد)، فانظر كيف ذهب على البحترى مثل هذا مع قربه"[٢] فابن الأثير فى هذا النقد يؤسس لمقياس مهم فى صنعة التشبيه، وهو مراعاة الترتيب والتفسير فى التشبيه الملفوف[٣]، حتى يصحَّ التشبيه وتسلم المقابلة بين كل طرفٍ.

ومن شواهد الخلل فى ترتيب التفسير، قول بعض الشعراء:

فيـا أيُّهـا الحيْـرانُ فـي ظُلَـمِ الـدُجى ومَـنْ خـافَ أن يَلْقـاهُ بغْـيٌ مـن العِدَى

تعـالَ إليـهِ تلْـقَ مـن نـورِ وجهِـه ضِـياءً ومـن كفّيْـهِ بحْـراً مـن النّـدى[٤]

ووجه العيب: أن الشاعر لما قدَّم فى البيت الأول (الظلم- وبغى العدا) كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين فى البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى فى مقابلة (ظلم الدجى) بالضياء، وذلك صواب. وكان الواجب أن يأتى بإزاء (بغى العدا) بالنصرة أو بالعصمة أو بما جانس ذلك مما يحتمي به الإنسان من أعدائه، لكنه لم يأت بذلك، وجعل مكانه ذكر الندى، ولو كان ذكر فى البيت الأول الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً[٥].

---

(١) انظر: كتاب الصناعتين صـ٢٥٠، المثل السائر ١٠٨/٢، وديوان البحترى ٢٩٥/٢.

(٢) المثل السائر ١٠٨/٢، الجامع الكبير لابن الأثير صـ٩٢.

(٣) التشبيه الملفوف: هو أن يؤتى- على طريق العطف أو غيره - بالمشبهات أولاً، ثم بالمشبه بها. (معاهد التنصيص ٨١/٢).

(٤) أورده قدامة فى نقد الشعر صـ٧٨، وانظر: الموشح صـ٣٠٠، والصناعتين صـ٣٤٧.

(٥) راجع: نقد الشعر صـ٧٨، وانظر: الموشح صـ٣٠٠، والصناعتين صـ٣٤٧، سر الفصاحة صـ٢٧٠،

٤ـ التناقض فى التشبيه :

ومعناه: أن يشبه الشاعر شيئاً بشيء له صفة أو لون معين، ثم يشبهه بشيء آخر له صفة أو لون غير الأول فيقع التناقض والتضاد، أو يثبت وصفاً للمشبه، ثم يأتى يسلب هذا الوصف، فيقع التناقض.

ومن شواهد التناقض فى التشبيه من جهة التضاد، قول أبي نواس يصف الخمر:

كـأنَّ بقايـا مـا عفـا مـن حبابهـا تفـاريقُ شـيبٍ فـي سـوادِ عـذارِ

تـردتْ بـه ثـم انفـرى عـن أديمهـا تفـريَ ليـلٍ عـن بيـاضِ نهـارِ [(١)]

فالشاعر وصف- فى البيت الأول- (الحباب) بالبياض حين شبهه بالشيب، ووصف الخمر بالسواد حين شبهها بسواد العذار.

ثم وصف (الحباب) فى البيت الثاني بالسواد حين شبهه بالليل، ووصف الخمر بالبياض حين قال: بياض نهار، وكون كل واحدٍ من الحباب والخمر أسود وأبيض مستحيل؛ لأنهما متضادان، وليس فى التناقض والاستحالة شيء أقبح من هذا[(٢)].

ومن شواهد التناقض فى التشبيه من جهة الإيجاب والسلب، قول عبدالرحمن بن عبدالله القس[(٣)]:

المثل السائر ٣/١٧٧.

(١) راجع البيت فى: نقد الشعر صـ٨٠، الموشح صـ٣٣٥، وسر الفصاحة صـ٢٤٣، ديوان أبي نواس صـ٢٥٨.. ما عفا من حبابها: ما امَّحى وذهب من الفقاقيع التى تعلوها، العذار: جانب اللحية الذى يحاذي الأذن، تردت به: اتخذته رداءً، انفرى: انشق.

(٢) راجع: نقد الشعر صـ٨٠، الموشح صـ٣٣٥، وسر الفصاحة صـ٢٤٣، البديع فى نقد الشعر صـ١٥٣، حلية المحاضرة صـ٧٠، أوهام شعراء العرب صـ٢٦.

(٣) هو عبدالرحمن بن عبدالله (أبى عمار) من بنى جشم بن معاوية، من قراء أهل مكة كان

أرى هجرهَا والقتلَ مثلينِ فاقصرُوا ملامكمُ فالقتلُ أعفَى وأيسرُ [1]

قال قدامة: "فأوجب هذا الشاعر أن الهجر والقتل مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: (فالقتل أعفى وأيسر)، فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله"[2].

٥ـ الابتذال والإسفاف[3]:

التشبيه لونٌ من ألوان التعبير الأنيق، وضربٌ من ضروب التصوير التى تمتع النفس وتهز الوجدان. وكلما كان التشبيه دقيقاً فى نظمه، مصيباً فى ربطه بين الطرفين، بعيداً عن الابتذال والإسفاف؛ فإنه- لا ريب- معدود فى مراتب البلاغة العالية.

أما إذا جاء التشبيه بارداً غثاً لا فائدة منه، وكانت صورته باهتة لا جمال فيها ولا روح، وكان نظمه ولغته أقرب إلى السوقية والعامية؛ فإنه- لا ريب- معدود فى التشبيه المعيب المبتذل.

ومن شواهد التشبيه الذى لا يقع أبرد منه، ما ذكره العسكري فى الصناعتين:

إن قلبى سُلَّ من غير مرض وفؤادي من جَوى الحبّ غَرضْ

يلقب بالقس لعبادته. (راجع: الموشح صـ٢٨٨).

(١) أورده قدامة فى: نقد الشعر صـ٨٢، والموشح صـ٢٨٨، والصناعتين صـ٨٩، وسر الفصاحة صـ٢٤٠، نضرة الإغريض صـ٨٢.

(٢) نقد الشعر صـ٨٢، الموشح صـ٢٨٨، الصناعتين صـ٨٩، سر الفصاحة صـ٢٤٠، نضرة الإغريض صـ٨٢.

(٣) أقصد بالابتذال هنا ما أسماه أسامة ابن منقذ (الرذالة والركاكة) والرذالة: أن يكون المعنى لا يراد ولا يستفاد.. والركاكة: أن يكون اللفظ متناولاً والمعنى متداولاً كالكلمات المستعملة والألفاظ المهملة، فيكون الشعر ركيكاً والنسج ضعيفاً. (راجع: نقد الشعر صـ١٦٤).

كجـــرابٍ كـــان فيـــه جِـــبْنٌ دخـــل الفَـــار عليـــه فقَـــرَضْ[1]

وهذا- لعمرى- من المضحكات، جمع فيه بين سُخف المعنى ورداءة اللفظ.

ومن هذا الباب قول المؤمل المحاربي، لما مات المهدي[2]:

مـــات الخليفـــةُ أيهـــا الـــثقلان فكـــأنني أفطـــرت فـــي رمضـــان

قال المرزبانى: " فضحك الناس وصار شهرة"[3].

ومن التشبيهات المبتذلة الباردة، ما ذكره القاضي الجرجانى من شعر أبي نواس، ومنه قوله:

ألا يـــا قمـــرَ الـــدّار ويـــا مِســـكة عطّـــار

ويـــا نفْحـــة نســـرينٍ ويـــا وردةَ أســـحار

ويـــا جـــدول بُســـتان علـــى شـــاطئ أنهـــار

ويـــا كعبَـــيْن مـــن عـــاج ويـــا غـــرّةَ دينـــار

ويـــا نـــرْداً لفِتْيـــان ويـــا لُعْبـــة أبكـــار

ويـــا مســـواك جمّـــاش ويـــا طنبـــور شـــطّار[4]

فهذه- كما ترى معى بارك الله فيك- معانٍ مبتذلة، لا تخلو من لفظٍ ردئ.

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين صـ١١٣، الغرض: الضجر والملال.

(٢) هو المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر، كوفي قدم بغداد، ومدح أمير المؤمنين المهدى (راجع: تاريخ بغداد ١٣/١٧٧).

(٣) الموشح صـ٣٦٩، وانظر: الصناعتين صـ١٢٨، والعمدة ٢/١٤٧، والبديع فى نقد الشعر صـ١٦٤.

(٤) راجع: الوساطة صـ٥٨.

ومنه قوله أيضاً:

قـــد حكـــى البـــدر بهاكـــا فـــــرآه مـــــن رأكـــــا

وازدهـــى بالحســـن لمـــا صـــار فـــى الحســـن حكاكـــا[1]

ولا يخفى ما فيه من ركاكة وسوء نظم.

ومن التشبيهات المبتذلة الباردة قول المتنبي يصف خيل سيف الدولة:

خَـــرَجْنَ مِـــن النّقْـــعِ فـــي عَـــارِضٍ وَمِـــنْ عَـــرَقِ الـــرَّكْضِ فـــي وَابِـــلِ

وَمـــا بَـــيْنَ كَـــاذَتي المُسْـــتَغير كمـــا بَـــيْنَ كـــاذتي البائـــلِ [2]

والمعنى: أن المستغير من هذه الخيل كان يفرّج بين رجليه لشدة عدوه كما يفعل البائل لئلا يصيبه البول. وقيل إن المعنى: أنه كان يعرق فى عدوه فيسيل العرق من بين فخذيه كما يسيل بوله.

والمعنى- كما ترى- فسل رذل، وليس فيه كبير طائل، بل فيه إساءة الأدب بالأدب[3].

(١) راجع: الوساطة صـ٥٨.

(٢) شرح ديوان المتنبى للواحدي ص٢٠٠.. والكاذة: لحم الفخذ، المستغير: طالب الإغارة.

(٣) راجع: فن التشبيه ١٧٧/٣.

ومما بلغ من السخافة والابتذال منتهاه، قول الشاعر:

كأنّنـــا والمـــاء مـــن حولنـــا قـــومٌ جلـــوسٌ حـــولهم مـــاءُ[١]

وقول أبى العباس الجراوي يمدح بعض الخلفاء:

إذا كـــانَ أمْـــلَاك الزمـــان أرَاقِمـــاً فإنّـــك فـــيهم دائـــم الـــدهر ثُعْبَـــان[٢]

فإن هذه التشبيهات يبلغ من سخفها أنها تستخرج الضحك من الأعماق[٣]

ومن هذا الباب قول أبي العتاهية:

ولّهنـــــي حُبهـــــا وصـــــيّرني مثـــل جحـــا شـــهرة ومِشْـــخَلْبَة[٤]

وقد أنكره المرزباني عليه، وعده من سفاسف شعره.

والأمثلة على هذا العيب أكثر من أن تحصى، وهى واضحة لا تخفى على ذي بصرٍ.

٦ـ الغلو الممقوت فى التشبيه:

لا يخفى أن المبالغة مقصد من مقاصد التشبيه، ولا يخلو التشبيه من إفادة المبالغة فى حالٍ من الأحوال، وإلا لم يستحق أن يكون تشبيهاً[٥].

ولهذا فإن "أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه... وعدل فيه عن الإفراط"[٦].

---

(١) أورده الهمذاني فى الكشكول ٢٦١/١، وانظر: أنوار الربيع صـ٤١٠.

(٢) نفح الطيب ٢١٠/٣.

(٣) ينظر: فن التشبيه ٥٧/١.

(٤) انظر: الموشح صـ٣٢٧.. والمشخلبة: كلمة عراقية تعنى: الحُلي الذى يتخذ من الليف والخرز، وقد تسمى الجارية مشخلبة لما عليها من الخرز.

(٥) راجع: فن التشبيه ٧١/١.

(٦) الموشح صـ٣٠٩، وانظر: الكامل ٢٣٤/١، العمدة ٦١/٢، وحلية المحاضرة صـ١٤٤.

أما الغلو المردود والمعيب الذى يجب اجتنابه، فهو ما آل بصاحبه إلى الكفر والاستخفاف بقدرة الله تعالى، والمدح الذى لا يليق إلا بجنابه- عز وجل- سواء قرن بشيء من أدوات التقريب أم لا(١).

وكذلك ما كان الوصف فيه ممتنعاً عقلاً وعادة، ولم يقرن به ما يقربه إلى الإمكان والصحة، فيدخل حينئذٍ فى الكذب المحض.

فمن شواهد الغلو المردود، قول المتنبي يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل:

تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ عن إدراكِه مثل الذي الأفلاكُ فيه والدُّنَى(٢)

شبه قصور العقول عن إدراك حقيقة الممدوح بتقاصر الأفهام عن إدراك كنه الله- عز وجل-، ولا يخفى ما فيه من الغلو الممقوت؛ لأن الذى الأفلاك فيه والدنى هو علم الله تعالى(٣).

ومنه قول المتنبي يمدح نفسه:

كَأَنِّي دحوت الأَرْض من خبرتي بهَا كَأَنِّي بنى الْإِسْكَنْدَر السد من عزمي (٤)

يصف كثرة أسفاره وتقلبه فى البلاد ومعرفته بالأرض حتى كأنه بسطها وخلقها فشبه نفسه بالخالق- تعالى الله عما يقوله علواً كبيراً-(٥).

(١) راجع: أنوار الربيع فى أنواع البديع صـ٣٢٠.

(٢) راجع البيت في: الصناعتين ص٣٦٤، وشرح ديوان المتنبي للعكبري٤/٢٠٢، والكشف عن مساوي شعر المتنبي للصاحب بن عباد ص٥٩، وأنوار الربيع ص٣٢١.

(٣) راجع: أنوار الربيع صـ٣٢١، والصناعتين صـ٣٦٤.

(٤) راجع البيت في: العمدة ٢/٦٣، والطراز٣/٧٠، وخزانة الأدب٢/١٩،وشرح ديوان المتنبي للواحدي ص٦٧.

(٥) راجع: فن التشبيه ٣/١٦٤.

ثم شبه قوة عزمه على الأمور،كأن الإسكندر بنى السد بين الناس من عزمه.

ومنه قوله فى مدح عضد الدولة:

النـــاسُ كالعابـــدين آلهـــةً وعبـــــدُه كالموحـــــد الله[1]

يقول: خدمتى للممدوح مقصورة عليه كمن يعبد الله وحده ولا يرجو غيره، أما الناس الذين يخدمون غير الممدوح فلا تنفعهم تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة من دون الله تعالى[2].

ولا يخلو مثل هذا الكلام من مظنة التهاون بالدين والجرأة عليه[3].

ومن شواهد الغلو الممقوت فى التشبيه، قول المتنبى فى الغزل:

يترشـفن مـن فمـى رشـفاتٍ هـنّ فيـه أحْلـى مـن التوحيـد[4]

شبه حلاوة الرشفات فى فمه بحلاوة التوحيد فى قلب الموحد!!

قال أبو العلاء المعرى: "وهذا أحد ما نُسِبَ المتنبي لأجله إلى الكفر، حيث جعل الترشف أحلى من التوحيد"[5].

ومن شواهده عند ابن هانئ الأندلسي يمدح المعز لدين الله:

مـا شـئتَ لا مـا شـاءتِ الأقـدارُ فـــاحكمْ فأنـــتَ الواحـــدُ القهـــارُ

وكأنمـــا أنـــت النبـــي محمـــد وكأنمـــا أنصـــارك الأنصـــار

(١) راجع البيت في: المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العباس الأزدي١/٣٠٤، ومعجز أحمد ص٤٤٧، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ص٣٨١، وأنوار الربيع ص٣٢١.

(٢) راجع: شرح ديوان المتنبي للواحدى صـ٣٨١.

(٣) راجع: فن التشبيه ٣/١٧٢.

(٤) أنوار الربيع صـ٣٢١.

(٥) معجز أحمد لأبى العلاء المعرى صـ١٥.

أنــت الــذي كانــت تبشــرنا بــه فــي كتبهــا الأحبــار والأخبــار [١]

فهذا غلو شنيع- نعوذ بالله منه- وهذا كثير شائع فى شعره.

ومن شواهد الغلو المعيب فى التشبيه عند أبي نواس، قوله فى مدح محمد الأمين:

تنــازع الأحمــدان الشّــبه فاشــتبها خَلْقَــاً وخُلُقَــاً كمــا قــدّ الشّــراكان [٢]

فزعم أن ابن زبيدة مثل الرسول- صلى الله عليه وسلم- فى خَلْقه وخُلُقه، وهذا من غلوه الممقوت الذى أُنْكر عليه، ولا يجوز أن يتكلم بمثله مسلمٌ[٣].

ومن هذا الباب قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك، فى مدح أحد الأمراء:

أَنْــت الَّــذِي تنــزل الْأَيَّــام منزلهَــا وتنقــل الــدَّهْر مــن حَــال إِلَــى حَــال

ومــا مــددتَ مــدى طــرفٍ إلــى أحــد إلا قضــــيتَ بــــأرزاق وآجــــال [٤]

جعل الممدوح إلاهاً يصرف الكون كيف شاء، ويقضي الآجال والأرزاق بين العباد. قال ابن معصوم: "وبهذين البيتين استحل المأمون دم الشاعر المذكور"[٥].

ومن الغلو فى التشبيه الذى يخرج إلى المحال، قول أبي نواسٍ فى الخمر:

توهّمتهــا فــي كأســها فكأنّمــا توهّمــت شــيئا لــيس يدركــه العقــل [٦]

---

(١) أنوار الربيع صـ٣٢٠.

(٢) الشعر والشعراء ٧٩٦/٢، الموشح صـ٣٣٩، الصناعتين صـ١١٦.

(٣) راجع: كتاب الصناعتين صـ١١٦، الموشح صـ٣٣٩.

(٤) أنوار الربيع صـ٣٢٠.

(٥) أنوار الربيع صـ٣٢٠.

(٦) راجع: الصناعتين صـ٣٦٤.

قال العسكري: "فجعلها لا تدرك بالعقل وجعلها لا أول لها"(١).

ومن هذا الباب قول خفاف بن ندبة(٢)، يصف الناقة:

أَبْقَى لَهَا التَّعْدَاءُ من عَتَدَاتِها ومُتُونِهَا كَخُيُوطَةِ الكَتَّانِ (٣)

شبه قوائم الناقة- فى دقتها- بخيوط الكتان، وهذا بعيد جداً، بل مستحيل كما أنه أخطأ فقال: متونها، وأراد ضلوعها، وهذا وضع للألفاظ فى غير موضعها الصحيح(٤).

٧- مخالفة سنن العرب فى صنعة التشبيه:

فمن منهج العرب وطريقتهم فى باب المديح أن يترقى الشاعر فى التشبيه من الصفة الأدنى إلى الأعلى، أما فى الذم فيعكسون ويتدلى الشاعر من الأعلى إلى الأدنى(٥).

وقد ورد على ذلك المنهج قول البحتري فى وصف نحول الإبل:

كَالْقِسِيِّ الْمُعَطِّفَاتِ بَلِ الأسْهُم مَبْرِيَّةً بَلِ الأوْتَار

فترقى فى تشبيه النحول من القسي المنحنية إلى الأسهم المبرية إلى الأوتار وهى أشد الثلاثة نحولاً ورقة(٦).

---

(١) السابق صـ٣٦٤.

(٢) هو خفاف بن ندبة السلمي: اشتهر بالنسبة إلى أمه ندبة بنت شيطان وهو من فرسان العرب المعدودين، أدرك الإسلام فأسلم ت ٢٠هـ.

(٣) راجع البيت في: عيار الشعر صـ١٤٨، الصناعتين صـ٢٥٧.

(٤) راجع:عيار الشعر صـ١٤٨، الموشح صـ١١٠، الصناعتين صـ٢٥٧، أوهام شعراء العرب صـ١٤.

(٥) راجع: الموشح صـ٤٠٤، والمثل السائر ١٧٠/٢، ١٧١.

(٦) راجع: الصناعتين صـ٢٢٣، والمثل السائر ١٧٠/٢، وفن التشبيه ١٥٩/٣.

ومخالفة هذه الطريقة يُعدُّ عيباً فى صنعة التشبيه، وقد خالف بعض الشعراء هذا المنهج، فمن ذلك قول أبي تمام فى مدح محمد بن الفضل الحميري:

خُلُــقٌ كالمُــدام أو كرضــاب الــ مســك أو كــالعبير أو كــالملاب[1]

ووجه العيب: أنه شبه خُلُق الممدوح بالمدام، أو المسك، أو العبير، أو الملاب. والمسك أطيب هذه العطور وأعلاها، وكان ينبغي عليه أن يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فيقول: كالمدام أو العبير، أو الملاب أو المسك[2].

ومن ذلك العيب- أيضاً- قول أبي تمام:

أنـا ابـن الـذي استرضعَ الجودُ فيهمُ وقـد سـاد فـيهم وهـو كهـلٌ ويـافعُ

نجــومٌ طواليــعٌ جبــالٌ فــوارعٌ غيــوثٌ هواميــعٌ ســيولٌ دوافــعُ[3]

فإن السيول دون الغيوث، والجبال دون النجوم، ولو قدم ما أخر لما اختل النظم بأن قال:

ســيول دوافيــع، غيــوث هوامــع جبــال فواريــع نجــوم طوالــع[4]

ومن هذا قول المتنبي يمدح بدر بن عمار الأسدى:

(١) الموشح صـ٤٠٤، والملاب: ضرب من الطيب أو الزعفران.

(٢) الموشح صـ٤٠٤، والمنصف للسارق والمسروق منه صـ٢١٣.

(٣) ديوان أبى تمام صـ١٨٠.

(٤) راجع: فن التشبيه ١٥٩/٣.

يـا بـدر يـا بحـر يـا غمامـة يـا ليـث الشـرى يـا حمـام يـا رجـل[1]

قال ابن الأثير: "وكان ينبغي أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى، فإنه إذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل إلى محل أعلى منه، وإذا خالفه كان كالمنخفض من محل إلى محل أدنى منه.

فأما قوله: (يا بدر) فإنه اسم ممدوحه، والابتداء به أولى، ثم يجب أن يقول بعده: يا رجل، يا ليث، يا غمامة، يا بحر، يا حمام؛ لأن الليث أعظم من الرجل، والبحر أعظم من الغمامة، والحمام أعظم من البحر، وهذا مقام مدحٍ فيجب أن يترقى فيه من منزلة أدنى حتى ينتهى إلى المنزلة العليا آخراً"[2].

ومن صور مخالفة منهج العرب فى التشبيه، قول محمد بن عبدالملك الزيات يصف ناقته فى مطلع قصيدة مدح بها الحسن بن سهل:

كأنّهـا حـين تنـاءى خطوهـا أخنس موشـيّ الشّوى يرعى القلل [3]

حيث خالف الشاعر طريقة العرب وابتدأ القصيدة بالتشبيه، فابتدأ بمضمر ووصف شيئاً لم يذكره، وهذا نهج لم تجر عليه العرب فى أشعارها.

كما أنه وقع فى عيب آخر خالف به جميع الشعراء؛ حيث إنه شبه الناقة (حين تناءى خطوها) بالثور الوحشى، وعادة الشعراء أنهم يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور (بعد الكلال والتعب)؛ غلواً فى الوصف ومبالغة فى سرعتها ونشاطها وقوتها.أما الشاعر فقد خالف هذا النهج وشبه الناقة بالثور فى بداية نشاطها

(1) راجع: شرح ديوان المتنبى للواحدي ص١٠٩، والمثل السائر ٢/١٧٠– والحمام: الموت.

(٢) المثل السائر ٢/١٧٠.

(٣) راجع البيت في:العمدة ١/٢٢١، الأوائل للعسكرى صـ٣٥٠، الأخنس: ذكر البقر الوحشى، الشوى: الأطراف.

وقوتها، وهذا ما عناه بقوله: (حين تناءى خطوها).

كما أنه وصف المشبه به- الثور- بقوله: (يرعى القلل)، والثور لا يرعى قلل الجبال، وإنما ذلك الوعل، فالثور يرعى السهول ومواضع الرمال[١].

ومن صور مخالفة منهج العرب فى التشبيه، أن يصف الشاعر المشبه بوصفٍ لا يوصف به، أو يشبهه بشيء ليس له وإنما يُشَبَّه به غيره.

فمن ذلك قول أبي تمام فى الغزل بمحبوبته:

لـــكِ قـــدٌّ أرق مـــن أن يُحَـــاكى بقضـــيبٍ فـــى النعـــت أو بكثيـــب[٢]

فلم تجر العادة أن يوصف القد بالرقة، وإنما يوصف بالهيف والرشاقة. ولم تجر العادة كذلك أن يشبه القد بالكثيب من الرمال، وإنما يشبه به الردف[٣].

ومن صور المخالفة والخروج عن مذهب الشعراء، عدول المادح عن التشبيه بالفضائل النفسية إلى المحاسن الجسدية[٤].

ومن شواهده قول ابن قيس الرقيات فى مدح عبد الملك بن مروان:

يـــأتلقُ التـــاجُ فـــوق مفرقـــهِ علـــى جبـــينٍ كأنّـــهُ الـــذهبُ [٥]

فقد ورد أن الخليفة عبد الملك بن مروان عاب عليه هذا التشبيه، وقال له: قد قلت فى مصعب ابن الزبير:

---

(١) راجع: العمدة ٢٢١/١، والأوائل للعسكرى صـ٣٥٠، وفن التشبيه ٢٦٣/٣.

(٢) الوساطة صـ٧٨.

(٣) راجع: الوساطة صـ٧٨، وأوهام شعراء العرب صـ٢٧، وفن التشبيه ١٥٣/٣.

(٤) راجع فى ذلك: نقد الشعر صـ٧١، الموشح صـ٢٨٣، الصناعتين صـ٩٨، البديع فى نقد الشعر صـ١٧١.

(٥) راجع: نقد الشعر صـ٧١، الموشح صـ٢٨٣، الصناعتين صـ٩٨، البديع فى نقد الشعر صـ١٧١.

إنمـــا مصـــعبٌ شـــهابٌ مـــن اللـــه تجلـــت عـــن وجهـــه الظلمـــاءُ

يتقـــي اللهَ فـــي الأمـــور وقـــدْ أفـــ ـــحَ مـــن كـــان همـــهُ الاتقـــاءُ

فأعطيته المدح بكشف الغمم، وجلاء الظلم، وأعطيتنى من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذى هو كالذهب فى النضارة(١).

فوجه عيب عبدالملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك، إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة، وذلك عيب ومخالفة؛ لأن العرب تمدح بجهامة الصورة وترك التنعم، فالتفاضل بالأخلاق لا بالخَلْق، والإنسان مخير فى الخُلُق غير مخير فى الخَلْق(٢).

وأرى أن عبدالملك بن مروان فى نقده يؤصل لمقياس نقدي آخر، وهو: قوة العاطفة أو فتورها. فقد لحظ عبدالملك قوة العاطفة لدى ابن قيس وهو يمدح مصعب بن الزبير، حيث خصه بصفة تربطه بالسماء (شهاب من الله) وهو ما يوحى بالرفعة والتقديس والتأييد، بينما كانت عاطفة الشاعر فاترة فى مدحه لعبد الملك، حيث وصفه بصفات معدنٍ أرضي وهو الذهب، وكأن بين مصعب وعبد الملك ما بين السماء والأرض(٣).

٨- التقليد والاحتذاء فى صنعة التشبيه:

لاشك أن التقليد والاحتذاء فى نظم الصورة التشبيهية- لفظاً ومعنى- مما يعيبها ويجعلها فى دائرة المذموم والمسروق.

---

(١) راجع: الصناعتين صـ٩٨، نقد الشعر صـ٧١.

(٢) راجع: نقد الشعر صـ٧١، والموشح صـ٢٨٣، والصناعتين صـ٩٨، البديع فى نقد الشعر صـ١٧١.

(٣) راجع: فى تاريخ البحث البلاغى د. محمد سيد سلطان، د. محمود مخلوف صـ١٨.

فالصنعة فى نظم الصورة التشبيهية، بمثابة براءة اختراع، وصك ملكية، وعندما يأتى شاعر آخر ويأخذ هذه الصورة- لفظاً ومعنى- ويدَّعى أنها له؛ فلاشك أن هذا مذموم معيب ويدخل فى السرقة من أوسع أبوابها.

ومن شواهد هذا العيب قول طَرَفَة فى وصف الناقة:

أَمُـــونٍ كـــأَلواحِ الإِرَانِ نَسَـــأْتُها علــى لاحِــبٍ، كَأَنّــهُ ظَهْــرُ بُرْجُــدِ [1]

أخذه من قول امرئ القيس:

وعَـــنْس كـــألواح الأرانِ نَســـأتُها علــى لاحــبٍ كــالبُرْد ذي الحِبــراتِ [2]

شبه عظام الناقة بألواح التابوت، وشبه الطريق الذى تسير عليه بالثياب المخطط. ولا يخفى أن طرفة أخذ التشبيه الأول (كألواح الأران) بلفظه ومعناه، وغيَّر فى لفظ الثاني تغييراً قليلاً، وهذا من أقبح وجوه السرقات وأشنعها وأدناها منزلة[3].

ومنه قول المتنبي:

(١) الأمون: الناقة الموثقة الخلق التى يؤمن عياؤها وعثارها. الإران: التابوت كانوا يحملون فيه سادتهم وكبراءهم. نسأتها: ضربتها بالمنسأة. اللاحب: الطريق. البرجد: كساء مخطط... (والبيت فى: جمهرة أشعار العرب صـ٣٠٨، وشرح المعلقات التسع صـ٤٤، والشعر والشعراء ١٣٢/١).

(٢) العنس: الناقة القوية الصلبة، البُرْد ذو الحبرات: من ثياب اليمن الموشاة (والبيت فى: الشعر والشعراء ١٣٢/١، وديوان امرئ القيس صـ٨٦).

(٣) راجع: الشعر والشعراء صـ١٣٢، المنصف للسارق والمسروق منه صـ١٢٣، ونضرة الإغريض صـ٣٧.

كفـــل الثنـــاء لـــه بـــردِّ حياتـــه لمَّـــا انطـــوى فكأنَّـــه منشـــور[١]

أخذه بلفظه ومعناه من أبي القوافي الأسدي، حيث يقول:

ردت صـــنائعه عليـــه حياتـــه لمَّـــا انطـــوى فكأنـــه منشـــور[٢]

ومن هذا الباب قول المتنبي فى وصف الكواكب:

كـــأنَّ بنـــات نعـــشٍ فـــى ذراهـــا خرائـــد ســـافراتٍ فـــى حـــدادِ[٣]

أخذه من أبي العباس الناشئ، حيث يقول:

كـــأن محجـــلات الـــدُّهْمِ فيـــه خرائـــد ســـافراتٍ فـــى حـــداد[٤]

قال ابن وكيع: "هذه سرقة توجب القطع"[٥].

ومن التشبيه المسروق بلفظه، قول المتنبي فى مدح علي ابن المنصور:

(١) انطوى: كناية عن موته. والمنشور: كناية عن حياته... (والبيت فى المنصف للسارق والمسروق منه صـ٧٦٢، والإبانة عن سرقات المتنبى لفظاً ومعنى صـ٣٦، ونضرة الإغريض صـ٨٧).

(٢) راجع: المنصف للسارق والمسروق منه صـ٧٦٢، والإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى صـ٣٦، نضرة الإغريض صـ٨٧).

(٣) بنات نعش: سبع كواكب معروفة. الخرائد: الجوارى.. شبه هذه الكواكب فى ظلمة الليل بالجواري السافرات فى ثياب سود.

(٤) التحجيل: بياض فى قوائم الخيل. الدهم: السود.. شبه البياض فى قوائم الخيل الدهم بالجواري السافرات فى ثياب سود.

(٥) المصنف للسارق والمسروق منه صـ٤٣٢، وانظر: نضرة الإغريض صـ٨٧.

كالشمس فى كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا[1]

أخذه من ابن الرومي حيث يقول:

كالشمس فى كبد السماء محلها وشعاعها فى سائر الأفاق[2]

قال ابن وكيع: "وهذا يدخل فى اللفظ المدعى ومعناه معاً ولم يزد أبوالطيب زيادة يستحقه بها فصاحبه أولى به"[3].

ومن شواهد التقليد والأخذ المذموم قول علي بن جبلة فى وصف الخيل:

يَخْرجن من غمراتِ النّقع سامية نشر الأنامل من ذي القرة الصَالى[4]

أخذه من الأسعر الجعفي، حيث يقول:

يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور أقعى فاصطلى[5]

شبه خروج الخيل من غبار المعركة متساوية الصفوف، بأنامل المصطلي الذى يمد يديه وقد سوى بين أصابعه ليستدفئ بالنار، وهو تشبيه بديع راعى فيه الشاعر الحركة والهيئة، لكن الذى عاب التشبيه الأول لابن جبلة أنه أخذه بلفظه

(١) راجع البيت فى: الوساطة صـ٢٦٢، والمصنف للسارق والمسروق منه صـ٥٣٤، نضرة الإغريض صـ٨٧.

(٢) راجع: المصنف للسارق والمسروق منه صـ٥٣٤، نضرة الإغريض صـ٨٧.

(٣) المصنف للسارق والمسروق منه صـ٥٣٤.

(٤) النقع: الغبار. القر: شدة البرد. المصطلى: المستدفئ بالنار. (والبيت فى: الشعر والشعراء ٨٥٤/٢، وديوان المعاني للعسكري ١٠٧/٢).

(٥) راجع: الشعر والشعراء ٨٥٤/٢، وديوان المعانى ١٠٧/٢.

ومعناه من الأسعر الجعفي.

ومن هذا الباب قول الأعشى:

فبانــت وفــى الصّــدر صــدعٌ لهــا كصـــــدع الزجاجـــــة لا يلتـــــئم

أخذه بلفظه ومعناه من قول المسيب بن علس:

بانــت وصَــدعُ القلــب كــان لهــا صـــدع الزجَاجـــة لـــيس يتفـــق[1]

ومن هذا الباب أيضاً قول البحتري:

إلــى فتــىً يُتْبِــعُ النعمــى نظائرهــا كـــالبحر يتبـــع أمواجـــاً بـــأمواج

أخذه بلفظه ومعناه من قول أبى دهبل الجمحي:

وليلـــةٍ ذات أجـــراسٍ وأروقـــةٍ كـــالبحر يتبـــع أمواجـــاً بـــأمواج[2]

والأمثلة فى هذا الباب كثيرة تحتاج إلى دراسة مفردة.

---

(١) راجع: الموازنة ١٢٩/١، وبانت: بعدت وسافرت، شبه ما أحدثه الفراق والبعد فى قلبه من تصدعٍ بصدع الزجاج لا يلتئم بعد كسره.

(٢) راجع: الموازنة ٣١٧/١.

المبحث الرابع

مقياس نقد التشبيه المعيب فى الجانب النفسي

المبحث الرابع

مقياس نقد التشبيه المعيب فى الجانب النفسي

قد يكون التشبيه مصيباً ودقيقاً فى الربط بين طرفين بينهما شبه وجامع، لكنه فى ذات الوقت معيب وساقط؛ لأنه يتنافى مع الذوق السليم، ولا يتلاءم مع النفس والشعور.

فليس الغرض من التشبيه مجرد الجمع بين طرفين فى صفة أو حالٍ ما، بل لابد من مراعاة الحالة النفسية بحيث يكون بين الطرفين مناسبة وملاءمة من جهة ما يثيران فى النفس من مشاعر وأحوال.

وقد تنبه الإمام عبدالقاهر الجرجانى إلى هذا المقياس، ورفض أن يكون مجرد الجمع بين طرفين متباعدين أصلاً لحسن التشبيه وصحته على الإطلاق ما لم يكن تعانقهما فى النفس بمقدار تباعدهما فى الحس(١).

يقول الإمام عبدالقاهر: "واعلم أنى لست أقول لك إنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه فى الجنس على الجملة، فقد أصبت وأحسنت، ولكن أقوله بعد تقييد وشرط، وهو أن تصيب بين المختلفين فى الجنس وفى ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً، وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهباً، وإليهما سبيلاً، وحتى يكون ائتلافهما الذى يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس فى وضوح اختلافهما من حيث العين والحس"(٢).

ويعقب الدكتور/ أبوموسى على هذا النص قائلاً: " فكلمات الحسّ، والملاءمة والتأليف السوي، هنا كلمات ذات مغزى جليل؛ لأنها تشرك الحسّ مع العقل فى إدراك الائتلاف الموجب للتشبيه، أعنى وجه الشبه الجامع الذى يحدث

(١) انظر: التصوير البيانى، للدكتور محمد أبوموسى صـ١٨٣.

(٢) أسرار البلاغة صـ، ١٥١تحقيق الأستاذ/ محمود شاكر.

ملاءمة وتأليفاً سوياً"[1].

وأحسب أن أول من أشار إلى هذا المقياس الذى يُعاب به التشبيه هو الأصمعى ت ٢١٦هـ، فى نقده لقول النابغة:

نظـرت إليـك بحاجـةٍ لـم تقضـها نظـر السّـقيم إلـى وُجُـوه العُـوَّد

قال الأصمعى: "أما تشبيهه مرضى الطرف فحسن؛ إلا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المحبوبة بالعليل، وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنَّهـا وسـطَ النِّسـاءِ أعارَهـا عَينَيـهِ أَحـورُ مـن جـآذرِ جاسـمِ

وَسْـنانُ أقصـدَهُ النُّعـاسُ فرنَّقـتْ فـي عينِـه سِـنَةٌ ولـيسَ بنـائمِ [2]

فالأصمعى يرى أن الشاعر أجاد فى تصوير نظرة المحبوبة وحركة طرفها حينما شبهها بنظرة المريض إلى وجوه العائدين له؛ لما بينهما من دقة فى وجه الشبه وهو الفتور والانكسار؛ إلا أنه لم يوفق فى استعمال لفظة (السقيم)، وتشبيه المحبوبة بالعليل؛ وذلك لما يوحي به ذكر السقم والعلة فى النفس من شعور بالانقباض، فضلاً عما يحدثه هذا التشبيه فى النفس من وحشة، حيث إنه ينقلها مما يؤنسها ويعجبها وهو الغزل فى مفاتن المحبوبة إلى ما يوحشها ويقبضها وهو ذكر المرض والعلة.

فلفظة (السقيم) ليست معيبة فى ذاتها، ولكنها قبحت ونبا موقعها لأنها استعملت فى موضعٍ لا يستدعيه المقام، مما جعل النفس تنفر منها لاسيما فى هذا السياق.

وما جاء من هذا الباب فى مقام الغزل، قول مسلم بن الوليد:

---

(١) التصوير البيانى صـ١٨٣.

(٢) فحولة الشعراء للأصمعى صـ٦٣، وانظر: العمدة ٣٠١/١، حلية المحاضرة صـ١٢.

فَغَطَّـــتْ بأَيـــديها ثِمـــارَ نُحورهـــا كأَيـدي الأَسـارى أَثْقَلَتْهـا الجَوامِـعُ [1]

والتشبيه مصيب جداً كما ذكر ابن رشيق[2]، لكن عيبه جاء من تشبيه أيدي المحبوبة المزينة بالحلي والجواهر بأيدي الأسارى المثقلة بالأغلال والقيود، فإنه لا يصح فى الذوق السليم أن تشبَّه أيدى الحسان التى تستر رمان الصدور بأيدى الأسير الذى أثقلته القيود والأغلال وقد ضم يديه إلى صدره... فالتشبيه يفتقر إلى الملاءمة بين وجه الشبه والحس[3].

ومما ورد من ذلك فى سياق الغزل أيضاً، قول امرئ القيس فى وصف أنامل محبوبته:

وتَعطُـو بـرَخْصٍ غيـرِ شَـثْنٍ كأنَّـهُ أَسـاريعُ ظَبـيٍ أو مَسَـاويكُ إسْـحِلِ [4]

شبه أنامل محبوبته- فى لينها ونعومتها- بدود الرمل، وشبه الأنامل كذلك- فى دقتها واستوائها- بسواك شجر الإسحل.

وهو تشبيه مصيب من حيث الوصف والشكل، لكنّ وقع المشبه به على النفس (أساريع ظبى) يثير فيها حالاً من البشاعة والنفور، فهى لا تخرج عن كونها ضرباً من الديدان تستقذرها النفوس بمحض الفطرة، لاسيما فى معرض الغزل

(١) البيت فى:الشعر والشعراء ٨٢٨/٢، والبديع لابن المعتز صـ٩٨، والصناعتين صـ٢٨٩، والعمدة ٣٠١/١... والجوامع: القيود

(٢) راجع: العمدة ٣٠١/١.

(٣) راجع: فن التشبيه ٤٦/٣.

(٤) ديوان امرئ القيس صـ٤٥. تعطو: تتناول. برخص: أراد به البنان الليِّن. الشثن: الجافي الغليظ. أساريع: دود صغير أبيض الجسم أحمر الرأس. ظبي: نوع من الرمال، إسحل: شجر يستاك به.

ووصف مفاتن المحبوبة[١].

وهذا التشبيه وإن كان مصيباً ومقبولاً عند القدماء، إلا أنه مما أُنْكر واستبشع عند المحدثين؛ لاختلاف الأذواق كما ذكر ابن رشيق[٢].

ومنه قول العَرْجي فى الغزل والهوى:

يـدبُّ هَواهَـا فِـي عِظَـامي ولَحْمِهـا كَمَـا دبَّ فِـي المِلْسُـوعِ سمُّ العَقَـارِبِ [٣]

فتشبيه دبيب الهوى فى العظام بدبيب السم فى الملسوع غاية فى البشاعة فضلاً عما يثيره فى النفس من اشمئزازٍ ونفور من الحب، وهو ما لم يقصده الشاعر فى غزله بمحبوبته[٤].

ومنه قول أبي محجن الثقفي فى وصف مغنية:

وترفـعُ الصـوتَ أحيانـا وتخفضـهُ كمـا يطـنُّ ذبـاب الروضـةِ الغـرد [٥]

فقد شبه القينة وهى ترفع صوتها بالغناء أحياناً وتخفضه أخرى، بطنين الذباب، وهو تشبيه تأباه النفوس والأذواق، فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب، أو أن يُشَّبه غناؤها بطنين الذباب؟[٦]

ومن السياقات التى يكثر فيها العيب سياق (وصف الخمر)؛ ذلك أن الشعراء يشبهون شكل الخمر أو لونها أو طعمها بشيء مطعوم أو مشروب مما يترتب عليه استهجانٌ واستقباحٌ للخمر ؛ لأن المشبه به ينافي الذوق وتعافه

(١) راجع: العمدة ٢٩٩/١، فن التشبيه ٤٠/٣.

(٢) راجع: العمدة ٢٩٩/١.

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٩١/٤، ومعاهد التنصيص ٨٧/١.

(٤) راجع: فن التشبيه ١٤١/٣.

(٥) العقد الفريد ٦٣/٨، والعمدة ٣٠٢/١.

(٦) راجع: العمدة ٣٠٢/١.

النفوس.

فمن ذلك قول ابن عون الكاتب:

تلاعبهـــا كـــفُّ المـــزاجِ محبـــةً لهـــا وليجـــري ذات بينهمـــا الأنـــس

فتزبـــد مـــن تيـــهٍ عليـــه كأنهـــا عزيـــزةُ خـــدرٍ قـــد تخبطهـــا المـــسُ[1]

فبشاعة هذا التشبيه تمجها الأذواق الصحيحة، وتنفر منها الطباع السليمة، فمن ذا الذى يطيب له أن يشرب شيئاً يُشبَّه بزبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المسّ[2].

والشاعر لم يقصد أن ينفر النفوس من الخمر، لكن عدم مراعاته لحال النفس والذوق أوقعه فى هذا العيب.

ومن هذا السياق قول يزيد بن معاوية فى وصف حُبَاب الخمر:

إذا شـجها السـاقي حسـبتَ حبابهـا عيونَ الدبَى من تحتِ أجنحـةِ النملِ[3]

فالتشبيه وإن كان مصيباً فى وصف شكل الحباب وهيئته، إلا أن وقع المشبه به على النفس يثير فيها البشاعة والاشمئزاز، فمن الذى يطيب له أن يشرب خمراً حبابها مثل عيون الجراد الميت . ومن هذا الباب قول الأخطل:

إذا مـا نَـدِيمِى عَلَّنِـي ثَـلاَثَ زُجَاجَـاتٍ لهـنَّ هَـدِيرُ

عُقَـاراً كَعَـيْنِ الـدِّيكِ صِـرْفاً كأنـه لُعَـابُ جَـرَادٍ فِـي الْفَـلاَةِ يَطِيـرُ[4]

---

(١) راجع البيت في: العمدة ٣٠١/١، وخزانة الأدب ٣٩٨/١.

(٢) راجع: العمدة ٣٠١/١، خزانة الأدب ٣٩٨/١.

(٣) راجع البيت في: ديوان المعانى ٣٠٨/١، والبصائر والذخائر ١٩٧/٤، نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١١٦/٤، والشج: المزج، الدُّبَى: صغار الجراد.

(٤) راجع: جمهرة الأمثال للعسكرى ٥٨٥/١.

فالأذواق الصحيحة تأبى أن تشرب خمراً سائلة كأنها لعاب الجراد.

ولعل أقبح وأبشع ما ذكر فى وصف الخمر، قول السرى الرفاء:

يسيل فم الزقّ الروىّ كأنّه جراحة زنجي يسيل نجيعها[1]

فإي إنسان يطيب له أن يشرب خمراً تشبه الصديد الذى يسيل من جرح عبد زنجى؟! إنه لاشك تشبيه يتنافى مع الذوق السليم ولا يتلاءم مع النفس والحس.

وقوله- أيضاً- فى وصف الخمر:

كأنّها إذ مجّها مقهقها يبكى دماً[2]

فقد شبه الخمر الحمراء عندما تُـرَجُّ بالمقهقه الذى يبكى دماً.. ولا يخفى ما فيه من بشاعة تنفر منها الأذواق، فضلاً عما يثيره فى النفس من شعور بالنفور؛ لأنه ينقلها من شيء محبب مؤنس _ عند مدمنيها_ إلى ما يوحشها وينفر منها.

ومما يلحق بهذا الباب قول الحكم الخضري- يصف غليان القدر بما فيها من قطع اللحم:-

كأنَّ جذولَ الناب فيها إذا غلتْ دعاميصُ تخشى صائِداً فتعومُ [3]

(١) راجع: فن التشبيه ٥٣/٣.

(٢) راجع: فن التشبيه ٥٣/٣.

(٣) نقد الشعر صـ٤٠.

فقد شبه قطع اللحم إذا دوِّمت بها القدر فى حال غليانها بصغار الضفادع التى تسبح على أديم الماء خوف اصطيادها.

ولا مرية أن هذا التشبيه يُغْثي النفس، ويوحش الصدر؛ لأن منظر الدعاميص مستنكر قبيح(١).

وهكذا تلحظ أنه ينبغي على الشاعر فى سياق وصف المشروب أو المطعوم أن يراعي المناسبة والملاءمة بين التشبيه وما يثيره فى النفس من شعور، وينبغى عليه أن يتخير من الصور ما ينشرح له الصدر ويهش له القلب، ويقبله الذوق؛ لأنه إنما يتكلم عن شيء يخالط الجوف ويمتزج بالبدن (٢).

ومما ورد فى سياق الوصف، قول الشاعر فى وصف شقائق النعمان:

كَـــأَن شـــقائق النُّعْمَـــان فِيهَـــا ثِيَـــاب قَـــد رويـــن مـــن الـــدِّمَاء (٣)

فتشبيه شقائق النعمان بالثياب المروية بالدم تشبيه ساقط عند البلاغيين أو مستبشع؛ لإيحاش وحيه ونبو موقعه من النفس(٤).

قال ابن رشيق: "فهذا وإن كان تشبيهاً مصيباً، فإن فيه بشاعة ذكر الدماء، ولو قال: روين من العصفر مثلاً أو ما شاكله لكان أوقع فى النفس وأقرب إلى الأنس"(٥).

فالتشبيه لابد أن يتوافق مع الغرض الذى صيغ لأجله وأن يجيء موافقاً للجو النفسي الذى يسيطر على عاطفة الشاعر، حتى يؤثر فى النفوس تأثيراً قوياً

---

(١) راجع: فن التشبيه ٣/٥٥.

(٢) السابق ٣/٥٥.

(٣) راجع البيت في: العمدة ١/٣٠٠، خزانة الأدب ١/٣٩٨، ومعاهد التنصيص ٢/٥.

(٤) راجع: التصوير البيانى صـ١٧٩

(٥) العمدة ١/٣٠٠.

ويكون خليقاً بالإعجاب والقبول.

ومن السياقات التى ينبغي أن يراعي الشاعر فيها الحالة النفسية: (سياق المدح) حتى يأتي التشبيه متلائماً مع الغرض والحالة الشعورية للشاعر، فإذا لم يراع الشاعر ذلك فى صورته التشبيهية عُدَّ معيباً وفاسداً.

ومن شواهد هذا العيب، قول أبي العباس الجراوي يمدح أحد الملوك:

فإن كان أملاك الزمان أراقماً فإنّك فيهم دائم الدهر ثعبان[1]

فتشبيه الملك بالثعبان فى مقام المدح يفتقر إلى صحة المناسبة وسلامة الذوق، ولهذا قال صاحب نفح الطيب: "فما أقبح ما وقع ثعبان، وما أضعف ما جاء دائم الدهر) [2].

فلفظة (ثعبان) إنما قبحت ونبا موقعها؛ لأنها استعملت فى موضعٍ لا يناسب المقام.. ولو أنه عدل إلى التشبيه بالحيَّة لسلم من العيب والخلل، فقد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا العظماء من الناس بالحية، والعادات رسوم محترمة معتبرة، ولذلك سموا الرجل: حية، وقالوا: هو حية الوادى، وهم حيات الأرض: لدواهيها وفرسانها.

ومنه قول طرفة يصف نفسه:

أَنا الرَّجلُ الضَّربُ الذي تَعرِفُونَهُ خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيّةِ المُتَوَقِّدِ [3]

(١) راجع: نفح الطيب ٣/٢١٠.

(٢) المرجع السابق ٣/٢١٠.

(٣) راجع البيت في: جمهرة أشعار العرب ص٣٣٤، والعقد الفريد٧/١٦٥، وديوان طرفة بن العبد ص ٢٧، وفن التشبيه ٣/٤٧، ٤٨.. والرجل الضرب: القليل اللحم، والعرب تمدح بذلك. والخشاش: الماضى فى الأمور.

ومما ورد من هذا العيب فى سياق المدح، قول أحد الشعراء:

وتلحقــه عنــد المكــارم هــزة كمـا انـتفض المحمـوم مـن أمٍّ مِلْـدَم[1]

فجعل اهتزازه من أريحية الكرم كانتفاض المحموم من الحمى، وبشاعته لا تخفى.

قال العلوى: "فهذا من المدائح التى وقع التفريط فيها ولا يجوز استعمالها، فالمعنى فيها وإن كان حسناً جيداً، ولكنه لأجل العبارة كان مستقبحاً مسترذلاً، تعافه الطباع، وتمجه الأسماع"[2].

والجيد فى هذا المعنى قول الشاعر:

وتلحقــه عنــد المكــارم هِــزةٌ كما اهتزّ تحت البارح الغصنُ الرطب[3]

فانتفاض المحموم من أثر الحمى لا يتناسب فى مقام المدح مع اهتزاز الكريم من أريحية الكرم، فانتفاضة المحموم توحي فى النفس شعوراً بالمرض والعلة ، وانتفاضة الكريم توحي في النفس شعوراً بالأريحية والرضا.

ومما ورد فى هذا السياق قول المتنبى يمدح سيف الدولة، ويصف نكايته بالروم:

نثــرتهم فــوق الأُحَيْــدِبِ نثــرةً كمـا نُثِـرَتْ فـوق العـروس الـدراهمُ[4]

يقول: إنك قتلتهم فى كل موضع من هذا الجبل، ونثرتهم عليه كما تنثر الدراهم فوق العروس، والتشبيه جيد ومصيب من ناحية الشكل.

---

(١) راجع البيت في: المثل السائر٣/١٨٥، والطراز ١٦٢/٢، والجامع الكبير لابن الأثير صـ٢٢٧.

(٢) الطراز ١٦٢/٢، وفن التشبيه ١٤٤/٣.

(٣) الكامل فى اللغة والأدب ١٥٣/١، نهاية الأرب ٣٣/٧... والبارح: الريح الحارة.

(٤) شرح ديوان المتنبى للواحدي صـ٢٧٦، وأسرار البلاغة صـ٥٧.

لكن يعيبه عدم التوافق فى الجو العاطفي والنفسي، فالشطر الأول يهيم بك فى جو قابض كئيب عابس، وهو جو الحرب والجراح والدماء والأشلاء والأنين والتوجع. والثانى ينقلك إلى جو ضاحك مرحٍ فرح بهيجٍ، إنه جو العروس المجلوة فى أبهى زينتها بين أترابها الناضرات، وقد نثرت فوقها الدراهم، فأين هذا من ذاك؟[1]

ومن هذا الباب قول الشاعر:

شـــبيه أبيـــه خلقـــة وخليقـــة كما حُذيت يوماً على أختها النعل[2]

فمن الذى يرضى ويقبل أن يشبه بالنعل؟ وكيف ساغ للشاعر أن يتجرد من ذوقه وحسه ويجمع بين طرفين متباعدين فى الحس والشعور؟

إن لفظة (النعل) هنا فى غاية القبح، لأن الشاعر استعملها فى موضعٍ لا تصح فيه بحال.

(١) راجع: فن التشبيه ٣/١٧٣- ١٧٤.

(٢) راجع: فن التشبيه ٣/١٧٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختمت به النبوات والرسالات، وعلى آله وصحبه أهل البر والخيرات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فمن خلال هذه الجولة المتأنية التي عايشتها الدراسة في كتب البلاغيين والنقاد حول التشبيهات المعيبة، يمكن أن نرصد أهم النتائج الأتية:

أولا: أن التشبيه فنٌ دقيق الصنعة، لا تتأتى الإصابة والإجادة فيه إلا إذا استقامت جوانب صورته لفظاً، ومعنى، وصنعةً، وخيالاً، وحساً؛ ومن أجل ذلك لم يسلم من الخطأ فيه كبار الشعراء، أمثال: النابعة، وامرئ القيس، والشماخ، والمتنبي، وأبي نواس، وأبي تمام، والفرزدق، وجرير، وغيرهم ممن تعرضت لهم الدراسة.

ثانيا: اهتمت كتب التراث البلاغي والنقدي بذكر التشبيهات المعيبة عند الشعراء، وبيان وجه العيب فيها، وقد تنوعت مقاييس نقدهم للتشبيه المعيب، فشملت الألفاظ، والمعاني، والصنعة، ومراعاة الحس والشعور. كما جاء نقدهم في كثير من المواضع معبراً عن دقة هذا الفن البياني، ووعورة مسلكه، وكاشفاً عن معرفتهم بأصول استحسان التشبيه الجيد.

ثالثا: الألفاظ التى تتكون منها أجزاء الصورة التشبيهية ركنٌ مهمٌ في إبراز جمال الصورة وحسنها، ومقياسٌ من مقاييس النقد التى راعاها العلماء في نقدهم للتشبيه؛ ولهذا عابوا من التشبيهات ما وقع فيه خللٌ أو خطأٌ في جانب اللفظ، كالغرابة، أو التعقيد اللفظي، أو استخدام الألفاظ العامية والأعجمية، أو مخالفة قواعد اللغة، أو الحشو، أو وضع اللفظ في غير موضعه، أو عدم الدقة في التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وغير ذلك مما يقدح في حسن الصورة أو يخدش في جمالها.

رابعا: صحة المعاني التي يقصدها الشعراء في تشبيهاتهم مقياسٌ مهمٌ لم يغفله العلماء في نقدهم للصورة التشبيهية؛ من أجل ذلك عابوا من معاني التشبيه ما كان مخالفاً للعرف أو العادة أو الطبع، وعابوا كذلك تناقض المعاني، أو فسادها، أو قلبها؛ لما يترتب على ذلك من قلب الحقائق واللبس. ولا شك أن ذلك كله ينعكس على الصورة التشبيهية فيؤثر على صحتها وقبولها.

خامسا: أما مراعاة الصنعة والأصول التي وضعها البيانيون لاستحسان التشبيه وقبوله، فهو المقياس الرئيس والأهم في الحكم على الصورة التشبيهية؛ ولهذا وجدناهم يحكمون بالعيب والفساد على التشبيهات المخالفة لهذه الأصول، ومنها:

١. انعدام الشبه والمناسبة بين الطرفين أو بُعده.
٢. عدم تحقيق وجه الشبه أو خفاؤه وبُعده.
٣. الخلل في تركيب الصورة أو الترتيب بينها.
٤. التناقض في التشبيه.
٥. الابتذال والإسفاف.
٦. الغلو الممقوت في التشبيه.
٧. مخالفة سنن العرب في صنعة التشبيه.
٨. التقليد والاحتذاء في صنعة التشبيه.

سادسا: ولما كان من أهم أغراض التشبيه: التأثير في نفوس المخاطبين؛ فقد اهتم العلماء بمراعاة التلاؤم بين التشبيه وبين الحس والشعور النفسي، واعتبروه مقياسا مهماً في نقد التشبيه؛ ولهذا فإنهم عابوا من التشبيهات ما يتنافى مع الذوق السليم ولا يتلاءم مع الحس والشعور، وقد لاحظت الدراسة أن هذا العيب يكثر في سياق وصف الخمر، وسياق الغزل، وسياق المدح؛ وهذا راجع إلى طبيعة هذه السياقات وعلاقتها بالحس والشعور النفسي، فالعيب فيها ينقل النفس مما

يؤنسها ويعجبها إلى ما يوحشها وينفر منها –وصفاً–، أو ينقص من جمالها – غزلاً –، أو يقلل من شأنه – مدحاً–.

سابعا: تنوعت مدارس العلماء في نقد التشبيه بين الذوقية الأدبية – كما عند ابن طباطبا– وبين الكلامية العلقية – كما عند قدامة –. وتنوع كذلك مداخل العيب الذي أُتِيَ منه الشعراء ، فبعضه ناتج من الذوق ، وبعضه من الثقافة.. وهذا باب يحتاج أن تفرد له دراسة مستقلة .

وأخيراً: فإن هذه الدراسة – وإن كانت مقصورة على فن من فنون البلاغة وهو التشبيه – فإنها توصي باستكمال هذا المشروع البحثي، والتوسع فيه من خلال تناول بقية الفنون والأساليب البلاغية المعيبة؛ للوقوف على مقاييس نقدها في التراث البلاغي والنقدي، وهو باب جديد يجمع بين الإفادة والإمتاع في آن واحد.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى، للعميدي، تحقيق: إبراهيم الدسوقي، ط: دار المعارف بالقاهرة ١٩٦١م.

٢. أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، للثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة، بدون تاريخ.

٣. الاختيارين، للأخفش، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط: أولى ١٩٩٩م.

٤. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط: مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، بدون تاريخ.

٥. أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي،ط: نهضة مصر، ط: سادسة ٢٠٠٤م.

٦. الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين، ط: (١٥)٢٠٠٢م.

٧. أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم المدني،تحقيق: شاكر هادي شكر، ط: مطبعة النعمان بالنجف، ط أولى١٩٦٩.

٨. الأوائل لأبي هلال العسكري، ط: دار البشير، طنطا، ط: أولى١٤٠٨هـ.

٩. أوهام شعراء العرب في المعاني، أحمد تيمور، مصر ١٩٥٠م.

١٠. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل، بيروت، ط: ثالثة، بدون تاريخ.

١١. البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق: د. أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، ط: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بدون تاريخ.

١٢. البرهان في وجوه البيان، لابن وهب الكاتب، تحقيق: د.حفني محمد شرف، ط: مطبعة الرسالة بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٣. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: د. وداد القاضي، ط: دار صادر، بيروت، ط: أولى ١٩٨٨.
١٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ط: مكتبة الأداب، ط: (١٧) ٢٠٠٥م.
١٥. البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني، ط: دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط: أولى ١٩٩٦م.
١٦. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: أولى ٢٠٠٢م.
١٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: د. حفني شرف،ط: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، بدون تاريخ.
١٨. التذكرة الحمدونية للبغدادي، ط: دار صادر بيروت، ط: أولى ١٤١٧هـ.
١٩. التصوير البياني، د. محمد أبو موسى، ط: مكتبة وهبه، ط: سابعة٢٠٠٩م
٢٠. التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، لأبي عبيد البكري، تحقيق: مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، ط: دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: ثانية ٢٠٠٠م.
٢١. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: مصطفى جواد، ط: مطبعة المجمع العلمي ١٣٧٥هـ.
٢٢. جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، تحقيق: علي محمد البجادي، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
٢٣. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ط: دار الفكر، بيروت.
٢٤. حلية المحاضرة، لأبي علي الحاتمي، ط: وزارة الثقافة والإعلام بغداد١٩٧٩م
٢٥. الحيوان للجاحظ، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط: ثانية ١٤٢٤هـ.

٢٦. خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تحقيق:عصام شقيو، ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط (أخيرة) ٢٠٠٤م.
٢٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: رابعة ١٩٩٧م
٢٨. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للحموي، ط: دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٢٩. ديوان أبي نواس، شرح: علي فاعور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى ١٩٨٧م.
٣٠. ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: ثانية ٢٠٠٤م.
٣١. ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط: دار المعارف بمصر، ط: ثانية، بدون تاريخ.
٣٢. ديوان ذي الرُّمَّة، ط: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط: ثانية ١٩٦٤م.
٣٣. ديوان زهير بن أبي سلمى،ط: دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.
٣٤. ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق: صلاح الدين الهادي، ط: دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.
٣٥. ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى ١٩٨٧م.
٣٦. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ط: دار المعرفة، ط: أولى ٢٠٠٤م.
٣٧. ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ط: دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
٣٨. ديوان النابغة الذبياني، ط: دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.
٣٩. سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ط: دار الكتب العلمية، ط: أولى ١٩٨٢م.
٤٠. سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، لابن معصوم، ط: مكتبة الخانجي،

مصر، ط: أولى ١٣٢٤م.
٤١. سير أعلام النبلاء للذهبي، ط: دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٦م.
٤٢. شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: شاهين عطية، ط: دار الكتب العلمية،بيروت، ط: أولى١٩٨٧م.
٤٣. شرح ديوان جرير، تحقيق: محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، ط: دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون.
٤٤. شرح ديوان المتنبي للعكبري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٤٥. شرح ديوان المتنبي للواحدي، تحقيق: ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، ط:دار الرائد العربي.
٤٦. شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده،تحقيق: مصطفى السقا، د.حامد عبد الحميد، ط: دار الكتب المصرية بالقاهرة، بدون تاريخ.
٤٧. شرح المعلقات السبع للزوزني،ط: دار إحياء التراث العربي، ط: أولى٢٠٠٢م.
٤٨. الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، ط: دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٣هـ.
٤٩. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيي بن حمزة العلوي، ط: المكتبة العنصرية، بيروت، ط: أولى ١٤٢٣هـ.
٥٠. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى١٤٠٤هـ.
٥١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل، ط: خامسة ١٩٨١م
٥٢. عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ.
٥٣. الفتح على أبي الفتح، لابن فُورَّجَة البُرُوجُردي، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي،

ط: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط: ثانية ١٩٨٧م.
٥٤. فحولة الشعراء للأصمعي، تحقيق المستشرق: ش. توري، ط: دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: ثانية ١٩٨٠م.
٥٥. في تاريخ البحث البلاغي، د. محمد سيد سلطان، د. محمود مخلوف . بدون.
٥٦. فن التشبيه، د. علي الجندي، ط: مكتبة نهضة مصر، ط: أولى١٩٥٢م.
٥٧. الكامل في اللغة والأدب، لابي العباس المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي بالقاهرة، ط: ثالثة ١٩٩٧م.
٥٨. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العنصرية، بيروت ١٤١٩هـ.
٥٩. الكشف عن مساوي شعر المتنبي، للصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط: مكتبة النهضة، بغداد، ط: أولى ١٩٦٥م
٦٠. الكشكول، لبهاء الدين الهمذاني، تحقيق: محمد عبد الكريم النميري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى ١٩٩٨م.
٦١. المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي العباس الأزدي،تحقيق: د.عبد العزيز المانع، ط: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ط: ثانية ٢٠٠٣م.
٦٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر بالفجالة، بدون تاريخ.
٦٣. المصون في الأدب، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: مطبعة حكومة الكويت، ط: ثانية ١٩٨٤م.
٦٤. المفضليات للضبي، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط: دار المعارف بالقاهرة، ط: سادسة، بدون تاريخ.
٦٥. المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. سالم الكرنكوي،

وعبد الرحمن اليماني، ط: مكتبة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: أولى، ١٩٤٩م.

٦٦. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٦٧. معجز أحمد (شرح ديوان المتنبي) لأبي العلاء المعري،تحقيق: د. عبد المجيد دياب، ط: دار المعارف بمصر. بدون تاريخ.

٦٨. المنصف للسارق والمسروق منه، لابن وكيع، تحقيق: عمر خليفة بن إدريس، ط: جامعة قار يونس، بنغازي، ط: أولى ١٩٩٤م.

٦٩. الموازنة بين أبي تمام والبحتري، للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف بالقاهرة، بدون تاريخ.

٧٠. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٧١. نضرة الإغريض في نصرة القريض، لأبي علي العلوي، ط: وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، بدون تاريخ.

٧٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت، ط: أولى١٩٩٧م

٧٣. نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ط: مطبعة الجوائب بالقسطنطينية، ط: أولى، ١٣٠٢هـ.

٧٤. نهاية الأرب في نهاية الأدب، للنويري، ط: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط: أولى ١٤٢٣هـ.

٧٥. الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.